

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ملخص بحث "أسماء زمزم في تاريخ مكة اللغوي" بقلم/رياض بن حسن الخوام - جامعة أم القرى - كلية اللغة العربية

يتناول هذا البحث تفسيرات لغوية خاصة بأسماء زمزم البالغة ما يقرب من أربعين اسماً، بينت فيه أسباب تسمية كل اسم، ذاكراً ما قدمه اللغويون حول هذه الأسماء، معرجاً في الكثير منها على بنيتها الصرفية الدالة على حقيقتها، ولم يحل البحث من اجتهاد لغوي لتفسير الكثير من أسمائها، كما أضفت عليها أسماء أجازت لي حقيقة زمزم وآثارها أن أطلقها أو أجزيت إطلاقاً عليها، مورداً في كل ذلك الأدلة الدالة على تسويغ قبولها، منتهاً من هذه الرحلة الزمزية إلى عدد من النتائج أهمها أن الفكر اللغوي العربي ربط بين الاسم والمسمى، وتميز بالوصف الدقيق، وأن العربية أولت الألفاظ الدينية لاسيما المكبية عناية خاصة في كشفها والوقوف على حركتها اللغوية، وكل ذلك يدفعنا إلى القول: إن تحليل الأسماء في هذه البقعة المباركة قديم جداً كقدم هذا البيت المبارك، بل إن تأثيل العلة النحوية قد يقودنا إلى القول إن فكرة تحليل الأشياء انبثقت من هذا المكان المبارك، ولاشك أن تفسير هذه الأسماء يفسر جزءاً من تاريخ الحركة اللغوية لمكة المكرمة، كل ذلك سيتضمنه البحث الذي عنوانته باسم "أسماء زمزم في تاريخ مكة اللغوي، والله ولي التوفيق .

مقدمه/رياض بن حسن الخوام الأستاذ الدكتور بجامعة أم القرى - كلية اللغة العربية

Research summary

Research summary of "The names of Zamzam in the linguistic history of Mecca" By Riyadh Alkhawam / Umm Al Qura University - College of Arabic Language.

This research deals with linguistic interpretations of the names of Zamzam, which are nearly forty names. I demonstrated the reasons for naming each name, illustrating what linguists have presented about these names, referring to their morphological structure indicative of their certainty, but it's not free from linguistic diligence to explain many of their names, as i added names to Zamzam to revealing the reality of Zamzam and its history to apply them or to let them Applied, illustrating all evidences that indicating the justification for their acceptance, concluding this Zamzamia journey to a many of results, the most important of which is that the Arabic linguistic thought linked the name and the named, and It has an accurate description, also that Arabic language gave attention to religious terms, especially Mecca's names to revealing them and identifying their linguistic movement.

All of this leads drive us to say that the explanation of the names in

this blessed spot is as old as this blessed house (Mecca), also the grammatical cause may lead us to say that the idea of justification of things emerged from this blessed place, there is no doubt that the interpretation of these names demonstrate a part of the history of the linguistic movement of Mecca, all of this will be included in this research as I named it” The names of Zamzam in the linguistic history of Mecca”.

الكلمات الافتتاحية (زمزم - لغات - تفسير - معان - أسماء - مكة - بئر - رؤيا)

ما أكثر الحديث والدراسات عن زمزم عند علمائنا القدماء والمحدثين، ومجمل هذه الدراسات تنحصر في تاريخها، وفضائلها، وما ورد فيها من أحاديث وآثار تدل على مكانتها ومنزلتها الحث على التضلع منها، والارتواء من مائها للحصول على بركاتها، ولا يخلو حديث علمائنا أيضاً من تعداد أسمائها، وتنوع أوصافها، ولحظت - مع كثرة الدراسات العامة عن زمزم - أنها لاتزال بحاجة إلى بيان أسباب تسمياتها الكثيرة، ودلالاتها اللغوية الدقيقة، فشرعت في هذا البحث لبيان ما أعتقد أن زمزم بحاجة إليه، وهي الدراسة اللغوية المبينة علل أسمائها اللغوية، وسوف أبدأ بزمزم لأنها أم أسمائها وأشهرها ثم أقدمها وفق الترتيب الألفبائي، لينتظم أمرها، ويسهل الرجوع إليها .

أولاً - التعريف بها :

- زَمْزَمٌ: كَجَعْفَرٍ، بئرٌ عند الكعبة، بينها وبين الكعبة ثمانٍ وثلاثون ذراعاً، واللفظة ممنوعةٌ من الصرف للتأنيثِ والعلمية^(١)، أي إذا اعتقدت أن المراد من لفظة زمزم أنها علمٌ على البئر المعروفة فهي ممنوعة من الصرف لاجتماع العلمية مع التأنيث، أما إذا اعتقدت أنها علمٌ على القلب فقط فهي مصروفة فتنون (٢)

وهي تتألف من ثلاثة عيونٍ قال الأزرقى: وفي قعرها ثلاثُ عيونٍ، عينٌ جِذاءِ الركنِ الأسودِ، وعينٌ جِذاءِ أبي قبيسٍ والصفاء، وعينٌ جِذاءِ المروة^(٣)؛ وأخبارٌ خُفِرها، ذكرته كلُّ الكتب التي أُلْفِتْ في تاريخ مكة وأخبارها، والذي يعنينا هو ما ذكرته المعجمات وهذه الكتب من أُلغائها وأسباب التسمية بها.

٢- لغاتها: كَثُرَتْ لغاتها نظراً لشرفِ المسمّى كما قالوا، وهي:

١. زَمْزَمٌ: بفتح الزاي وتسكين الميم، وهي أم هذه الأسماء وقد تصرف الناس فيها فكثرت اللغات الواردة في لفظها، ذكر ابن الأعرابي لزمزم ثنتين أُخريين هما :

(١) الفيروز أبادي، مُجَدِّدٌ بن يعقوب، القاموس المحيط، مادة زمزم، نشر مكتبة البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م، والفيومي، أحمد بن مُجَدِّدٌ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، مادة زعم، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨م، بيروت، لبنان، هـ ١٩٧٨م .

(٢) الأزهرى، مُجَدِّدٌ بن عبد الله، شرح التصريح على التوضيح، ١٨٣/٢، دار إحياء الكتب العربية، البابي الحلبي.

(٣) الأزرقى، مُجَدِّدٌ بن عبد الله، أخبار مكة (٦١/٢) تحقيق: رشدي ملحس، الطبعة الثامنة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .

١. زَمَّمُ: بتشديد الميم الأولى^(٤)
٢. زُمَزِمُ: بضم الزاي وفتح الميم الأولى وكسر الزاي الثانية.^(٥)
- وأضاف أصحاب المعاجم لغات أخرى لها هي :
٣. زَمَزِمُ: بضم أولها وتشديد ميمها وكسر زايتها الثانية.^(٦)
٤. زَزَمُ: بضم أولها وتشديد الميم مع كسرها وتسكين الزاي الثانية.^(٧)
٥. زُمَازِمُ: بضم الزاي في الأولى كغلابط^(٨)

ولم يكنف العرب بكثرة تسميتها بما هو مأخوذ من مادتها اللغوية، (زمم) بل رأيناهم يطلقون عليها أسماءً أخرى تمثل ما يدور في خلدنا من خصائصها وأحوالها وآثارها، فقد نقل صاحب اللسان عن ابن بري قوله: لَزَمَزَمَ اثنا عشر اسماً: زَفَزَمُ . مَكْنُومَةُ . مَضْنُونَةُ . شُبَاعَةُ . سُقْيَا . الرِّوَاءُ . رَكْضَةُ جَبْرِيلَ . هَزْمَةُ جَبْرِيلَ . شِفَاءُ سُقْمٍ . طَعَامُ طُعْمٍ . حَفِيرَةُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ^(٩) وعددها صاحب معجم البلدان أيضاً مضيفاً إليها بَرَّةَ . وشراب الأبرار . وطعام الأبرار . وطبية^(١٠) كما عددها الفاكهي أيضاً وأضاف إليها أسماءً أخرى نقلها عن أشياخ مكة وهي (بركة، وسيدة، ونافعة، وعونة، وبُشرى، وعصمة، وسالمة، وميمونة، ومباركة، وكافية، وصافية، ومغذية، وطاهرة، وحزمية، ومروية، ومؤنسة، وعافية)^(١١)

وأضاف الضياء المكي إلى هذه الأسماء اسم ظبية^(١٢) ثم قال: وقد نظمت أسماءها في ستة أبيات وهي:

لَزَمَزَمَ أَسْمَاءُ أَتَتْ فِيهَا بَرَّةٌ	وسيدة بُشرى وعصمة فاعلم
ونافعة مضمونة عوننة الوري	ومروية سُقيا وظبية فافهم
وهزمة ^(١٣) جبريل وهزمتها كذا	مباركة أيضاً شفا لأسقم
ومؤنسة ميمونة حزيمة	وكافية شباعة بتكرم

(٤) ابن منظور ، مُجَدِّدٌ بِنِ مَكْرَمٍ ، ، اللسان، (زمم)، تحقيق: عبدالله علي الكبير وزملائه، دار المعارف، مصر ،

وياقوت الحموي ، ياقوت بن عبد الله ، معجم البلدان (١٤٨/٣). دار صابر ودار بيروت، ١٣٧١هـ.

(٥) البكري، عبد الله بن عبد العزيز ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (٧٠٠/١) تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب . بيروت . وابن منظور ، مُجَدِّدٌ بِنِ مَكْرَمٍ ، ، اللسان (زمم).

(٦) البكري، عبد الله بن عبد العزيز ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (٧٠٠/١) (٧٠١/١).

(٧) ياقوت الحموي ، ياقوت بن عبد الله ، معجم البلدان (١٤٨/٣). دار صابر ودار بيروت، ١٣٧١هـ .

(٨) ياقوت الحموي ، ياقوت بن عبد الله ، معجم البلدان ، (١٤٨/٣)، و الفيروز أبادي ، مُجَدِّدٌ بِنِ يَعْقُوبَ ، القاموس المحيط(زمم).

(٩) وعددها ابن الأعرابي (الشباعة، وهزمة الملك، وركضة جبريل) انظر اللسان (زمم). وذكر المحقق أن المعدود من أسمائها ، أحد عشرة فقط مع أن ابن بري صدّر قوله بأن عددها هو اثنا عشر.

(١٠) ياقوت الحموي ، ياقوت بن عبد الله معجم البلدان (١٤٨/٣) (١٤٨/٣) وبدلاً من مكنومة ذكر تُكْتَمُ بالبناء للمجهول.

(١١) انظر: الضياء الحنفي ، مُجَدِّدٌ بِنِ أَحْمَدَ ، البحر العميق في مناسك المعتمر والحاج إلى بيت الله العتيق (٢٠٠/١)، تحقيق الدكتور: عبدالله مزي، المكتبة المكية الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

(١٢) الضياء الحنفي ، البحر العميق (٢٠٠/١).

(١٣) في الأصل وهزمة .

وَمُعْذِيَةٌ غَدَتْ وَصَافِيَةٌ عَدَتْ

شَرَابٌ لِأَبْرَارٍ^(١٤) وَعَافِيَةٌ بَدَتْ

وَسَالِمَةٌ أَيْضًا طَعَامٌ لِأَطْعَمِ

وِطَاهِرَةٌ تُكْتَمُ فَأَعْظَمُ بَرْمَزِمٌ^(١٥)

وختلاصة ذلك كله أن أسماءها بعد تفتيشنا عنها في كتب اللغة والمعجمات اللغوية والجغرافية ألفيناها (خمسة وأربعين) اسماً (خمسة) منها هي لغات في زمزم نفسها أخذت من مادة (ززم) كما ذكرنا، والباقي أسماء لها لم تؤخذ من مادة (ززم)^(١٦) وإنما أخذتها العرب من مواد لغوية أخرى تدل على خصائص خاصة في زمزم.

نسوقها حسب الترتيب الأبجائي:

١. بَرَّةٌ.
٢. بَرَكَةٌ.
٣. بَشْرَى.
٤. تُكْتَمُ.
٥. حِرْزِيَّةٌ.
٦. حَفِيرَةٌ عَبْدِ الْمَطْلَبِ.
٧. رَكْضَةُ جَبْرِيلَ.
٨. رَوَاءُ.
٩. سُقْيَا (سُقْيَا إِسْمَاعِيلَ).
١٠. سَالِمَةٌ.
١١. سَيِّدَةٌ.
١٢. شُبَاعَةٌ (شِبَاعَةُ الْعِيَالِ).
١٣. شَرَابُ الْأَبْرَارِ.
١٤. شِقَاءٌ سُقْمِ.
١٥. صَافِيَةٌ.
١٦. طَعَامُ الْأَبْرَارِ.
١٧. طَعَامُ طَعْمٍ وَشِقَاءٌ سُقْمِ.
١٨. طَاهِرَةٌ.
١٩. طَيِّبَةٌ.
٢٠. ظَبِيَّةٌ.
٢١. عَضْمَةٌ.
٢٢. عَوْنَةٌ.
٢٣. عَافِيَةٌ.

^(١٤) في الأصل شراب الأبرار.

^(١٥) الضياء الحنفي، محمد بن أحمد، البحر العميق (٢٠١/١). وكسرت زمزم للضرورة الشعرية.

^(١٦) لم ننون أسماءها لأن زمزم وأسماءها ممنوعة من الصرف الآن للعلمية والتأنيث.

٢٤. كافية.

٢٥. مؤنسة.

٢٦. مروية.

٢٧. مضمونة.

٢٨. مُغَدَّية.

٢٩. ميمونة.

٣٠. نافعة.

٣١. هَزْمَةٌ جبريلَ (الملك).

٣٢. هَمْزَةٌ جبريلَ. (١٧)

ولا شك أن أمّ هذه الأسماء هي زَمْزَمٌ، ولعلها تبوّأت هذه المنزلة، لأنه أول اسم أُطلق عليها ممثلاً لحقيقتها ومصوراً مشهد الأم هاجر تدمها وتجمعها، ثم حصل لها ترداد على الألسنة لكثرة القادمين إلى هذا المكان المبارك في الجاهلية أولاً ثم الإسلام فأنس الناس بها، وشاع لفظها، ثم نوع الناطقون بها، فكثرت أسماءها، وتنوعت دلالاتها كما سنرى، وراح العلماء يفكرون في كل اسم من أسمائها محاولين الوصول إلى سبب تسميتها بذلك الاسم، وقد فأوردوا لنا الأسباب الآتية:

١. قيل: سميت بذلك لأن هاجر أمّ إسماعيل كانت تضمّ الماء حين انفجرت، فمن معاني (زَمْ) الضمّ والجمع^(١٨) يقال: زَمْزَمْتُهُ زَمْزَمَةً... إذا جمعته ورددت أطراف ما انتشر منه^(١٩) ونُسب هذا القول لابن عباس قال: " لو تُركت لساحت على الأرض حتى تملأ كل شيء"^(٢٠) وفي الحديث أن النبي ﷺ قال " يرحم الله أمّ إسماعيل لو تركت زَمْزَمَ أو قال: لو لم تعرف الماء لكانت زَمْزَمَ عيناً معيناً"^(٢١)

٢. قيل: سُميت بذلك لكثرة مائها، لأن الزَمْ في اللغة كثرة الماء، قالوا: ماء زَمْزَمٍ وزَمَزَمٍ أي كثير، وُزِمَت القرية زُموماً أي امتلأت^(٢٢)

(١٧) تنبيهان:

أ. بعض هذه الأسماء جاءت في عبارة واحدة مكونة من مضاف ومضاف إليه: كقطعام طعم وشفاء سقم، وهمزة جبريل وهمزة جبريل.

ب. أضفنا إلى هذه الأسماء: بئر إسماعيل، وجلّ وبلّ، وخبيبة، وشافية، وكاشفة، ومبرئة، ومعوذة، كما ستري في نهاية دراسة هذه الأسماء.

(١٨) ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله معجم البلدان (١٤٧/٣)، و المحجوب المكّي، عبد الله بن إبراهيم، عدة الإنبابة في أماكن الإجابة، (١٢٢)، تحقيق: الدكتور عبد الله مزي، المكتبة المكيّة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ. و الضياء الحنفي، البحر العميق (٢١/١).

(١٩) ابن منظور، مُجَدِّد بن مكرم، اللسان (زمم).

(٢٠) ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله معجم البلدان (١٤٧/٣).

(٢١) الضياء الحنفي، البحر العميق (٢٥٥٤/٥) وانظر القول والحديث في كتاب السيوطي، عبد الرحمن، الدر المثور في التفسير بالمأثور (٦٥٦/١) تحقيق: الدكتور عبد الله التركي مع مركز هجر للبحوث، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ. ٢٠٠٣ م.

(٢٢) ابن منظور، مُجَدِّد بن مكرم، اللسان (زمم)، والضياء الحنفي، البحر العميق (٢٠١/١) و المحجوب المكّي،

٣. وقيل: سميت بذلك لصوت الماء فيها حين ظهر^(٢٣) وذلك لأن حركة الماء وفورائه أصدر صوتاً، ومن معاني الزمزم ما يدل على الصوت، فالزمزم: صوت الرعد، وزمزم الرعد: تتابع صوته، وقيل: هو أحسنه صوتاً وأثبته مطراً، وقال أبو حنيفة: الزمزم من الرعد مالم يعلل ويفصح، والزمزم: الصوت البعيد تسمع له ذوياً^(٢٤)

ونقل البكري عن الحربي قوله: سميت زمزم لتززم الماء فيها، وهي حركته، والزمزم: الصوت تسمع له ذوياً^(٢٥) ولعل مما يؤكد ذلك أن أم إسماعيل وصفت ماء زمزم بأنه كان " يفور^(٢٦)" أي يجيش، يقال: فار الماء من العين يفور إذا جاش وانتشر^(٢٧) ولا شك أن هذا الجيشان يحدث صوتاً.

٤. وقيل: سميت بذلك لأن الخيل لما كانت تصل إليها تزمزم عندها، أي تُصوت، قال أبو عبيد: وفرس زمزم في صوته: إذا كان يُطرب فيه^(٢٨). والظاهر أن الخيل كانت تحدث هذا الصوت حين تروي ظمأها من ماء زمزم بعد أن تكون مجهداً من السفر منهكة .

٥. وقيل: سميت بذلك لزمة جبريل عليه السلام وكلامه عند تفجيره للأرض، قال صاحب عدة الإنابة: وسميت بذلك.. لزمة جبريل: أي تكلمه عند فجره لها^(٢٩) والظاهر أن المراد من الزمزم هنا هو ذلك الصوت الذي سمعته أم إسماعيل من جبرائيل عليه السلام عند موضع زمزم، ففي الحديث عن سعيد بن جبير "فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً، فقالت: صه، تريد نفسها ثم سمعت، فسمعت أيضاً، فقالت: قد أسمعت إن كان عندك عوات، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه^(٣٠). أو بجناحه . حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه، وتقول بيدها: هكذا، وجعلت تعرف من الماء في سقائها وهي تفور بعد ما تعرف^(٣١)"

عبدالله بن إبراهيم، عدة الإنابة في أماكن الإجابة (١٢٢).

(٢٣) البكري، عبد الله بن عبد العزيز، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (٧٠١/١)، و الضياء الحنفي ، ، البحر العميق (٧١/١).

(٢٤) ابن منظور ، مُجد بن مكرم ،اللسان (زمم).

(٢٥) البكري، عبد الله بن عبد العزيز، معجم ما استعجم (٧٠١/١).

(٢٦) السيوطي، عبد الرحمن ، الدر المنثور (٦٥٦/١) والضياء الحنفي ، ، البحر العميق (٢٥٥٣/٥) وانظر السبب الخامس لتقف على النص كاملاً

(٢٧) ابن منظور ، مُجد بن مكرم ،اللسان، (فور).

(٢٨) ابن منظور ، مُجد بن مكرم ،اللسان (زمم)، و المحجوب المكي، عبدالله بن إبراهيم ، عدة الإنابة في أماكن الإجابة (١٢٢).

(٢٩) المحجوب المكي، عبدالله بن إبراهيم ، عدة الإنابة في أماكن الإجابة (١٢٢).

(٣٠) فضل السهيلي فيما يبدو الرواية القائلة : إنه ضرب الأرض بعقبه وأبان عن الحكمة من ذلك بقوله ، وفي تفجير جبريل زمزم بالعقب، دون أن يفجرها باليد أو غيرها إشارة إلى أنها لعقبه وهو مُجد وأتمته كما قال الله تعالى: وجعلها كلمة باقية في عقبه(الزخرف: ٢٨) أي في أمة مُجد انظر: السهيلي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام (٦٦/٢) ، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، مكتبة دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م. و الضياء الحنفي ،البحر العميق (٢٥٥٦/٥).

(٣١) السيوطي، عبد الرحمن ، ، الدر المنثور (٦٥٦/١).

وفي المثل: "حَوْلَ الصَّيَّانِ الزَّمْرَةُ" معناه أن ما تَسْمَعُ من الأصوات والجَلْبِ لطلب ما يُؤْكَلُ وَيُتَمَعُّ به (٣٢) فلعلَّ الصادر من جبريل عليه السلام، يفيد أن ماء زَمْزَمَ، يُطَلَّبُ وَيُتَمَعُّ به، ولعل المراد من الصوت هو الصوت الذي أحدثه جبريل عليه السلام حين ضَرَبَ بعقبه أو بجناحه الأرض، فلعل هذا الصوت هو الزَّمْرَةُ المرادة _والله أعلم_. وربما كان هذا الصوت هو دعاء دعا به جبريل حين ضرب بعقبه الأرض، وإن لم نقف على ما يدل على ذلك.

٦. وقيل: سُمِّيَتْ بذلك لأن سابور الملك، لما حَجَّ البيتَ أَشْرَفَ عليها وزَمْزَمَ فيها، والزَّمْرَةُ، كلامُ الجوس وقرأهم على صلاتهم وعلى طعامهم وفيها يقول القائل:

زَمْزَمَتِ الْفُرْسُ عَلَى زَمْزَمَ وَذَاكَ فِي سَالِفِهَا الْأَقْدَمِ (٣٣)

ووضح ابن منظور زَمْزَمَةَ الأعاجم بقوله: الزَّمْرَةُ: تَرَاطُنُ العُلُوجِ عند الأكلِ وهم صُمُوتٌ، لا يستعملون اللسانَ ولا الشَّفَةَ في كلامهم، لكنه صوتٌ تديره في خياشيمها وحُلُوقِها فيفهمُ بعضها عن بعضٍ (٣٤) ونقل ياقوت عن المسعودي ما يؤكد أن ملوك الفرس كانت تُقصدُ البيتَ الحرامَ قال: والفُرْسُ تعتقدُ أنها من ولد إبراهيم الخليل عليه السلام، وقد كانت أسلافهم تُقصدُ البيتَ الحرامَ وتطوفُ به تعظيماً لجدها إبراهيم، وتمسكاً بهديه وحفظاً لأنسابها، وكان آخر من حج منهم ساسانُ بنُ بابك، وكان ساسانُ إذا أتى البيتَ طافَ به وزَمْزَمَ على هذه البئر، وفي ذلك يقول الشاعر في القديم من الزمان:

زَمْزَمَتِ الْفُرْسُ عَلَى زَمْزَمَ وَذَاكَ فِي سَالِفِهَا الْأَقْدَمِ

وقد افتخر بعض شعراء العرب بعد ظهور الإسلام بذلك فقال:

ومازلنا نحجُّ البيتَ قَدَمًا ونقلى (٣٥) بالأباحتِ آميننا
وساسانُ بنُ بابك سار حتى أتى البيتَ العتيقَ بأصيدينا
وطافَ به وزَمْزَمَ عندَ بئرٍ لإسماعيلَ تروي الشاربينا (٣٦)

والظاهر أن هذا القيل في اتجاهه إلى أن زمزمة الأعاجم قد تكون سبباً من أسباب تسميتها بذلك لا يتجه البتة وذلك للأسباب الآتية:

١. أن إطلاق "زَمْزَمَ" على هذا النبع من الماء، يُلتَمَسُ من العرب، لأنها عندهم في أرضهم؟ فهل يُعقل أنهم لم يُسموها؟ وبقية بلا تسمية إلى أن جاء ساسانُ إليها وزَمْزَمَ؟
٢. ألم نر في العربية معاني كلها تنطبق على الواقع المشهود لهذه العين؟ فالملاحظ أن هذه المعاني تعود إلى ثلاثة معان هي: الضم، والصوت، والكثرة، وما أكثر الشواهد التي ذكرتها المعاجم، للدلالة على هذه المعاني عند العرب.
٣. أن المعاجم العربية أشارت إلى أن معاني الزَّمْرَةِ: تَرَاطُنُ العُلُوجِ عند الأكلِ وهم صُمُوتٌ لا يستعملون اللسانَ ولا الشفة في كلامهم، لكنه صوتٌ تديره في خياشيمها وحُلُوقِها فيفهمُ بعضها عن بعضٍ، وزَمْزَمَ العِلْجُ إذا تَكَلَّفَ الكلامَ عند الأكل (٣٧)، والمستفاد من هذا أن زَمْزَمَةَ الفرس معروفة عند العرب، وهي على كل حال تعود إلى معنى "الصوت"

(٣٢) ابن منظور، مُجَّد بن مكرم، اللسان (زمم).

(٣٣) ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان (١٤٨/٣).

(٣٤) ابن منظور، مُجَّد بن مكرم، اللسان (زمم).

(٣٥) هكذا في الأصل ونلقى، ولعلها وتُلْفَى أي يشعرون بالأمان عند البيت.

(٣٦) ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله معجم البلدان (١٤٨/٣).

(٣٧) ابن منظور، مُجَّد بن مكرم، اللسان (زمم).

الذي أشارت إليه بعض الأقوال بأنه سبب التسمية، ولا يخطر بالبال أن تكون العربية قد ضاقت وعجزت عن إطلاق لفظة تعبر عن مشهد هذا العين، وتتفق مع حقيقة مشهدها، وللنظر إلى كثرة أسمائها العربية الدالة على ان العربي بارع في لغته، وماهر في إطلاق الاسم على المسمى بدقة، لذلك كله لانتصور أن تكون لفظة "زمر" بمعناها الأعجمي لها أدنى ارتباط بتسمية هذه البئر بها، ومن الأولى بل من الواجب القول إنها لفظة عربية أصلاً واستعمالاً. وأخيراً فالذي نحسبه أن إطلاق اسم زَمْرَم على هذه العين المباركة تمَّ قبل مجي ساسان وغيره من الأعاجم إلى هذه الديار.

وثمائية القول بعد ذلك كله، إنها سميت بذلك لكثرة مائها، وجمع وزمَّ أمَّ إسماعيل لهذا الماء، ولصوت هذا الماء الكثير الذي يجيش فيها. والله أعلم.

وننتقل الآن إلى توضيح أسمائها وبيان أسباب تسميتها بهذه الأسماء: (٣٨)

١. بَرَّةٌ (٣٩): علَّم جنس على جميع أنواع البر، وهي ممنوعة من الصرف للعلمية والتأنيث (٤٠)، والبرُّ بالكسر، الخبز والفضل، يقال: برَّ الرجل يبرُّ برًّا، وزان عَلِمَ يَعْلَمُ عَلِمًا فهو برُّ (٤١)، ومؤنثُ برِّ: بَرَّةٌ، وجمعها بَرَّاتٌ. يقال: امرأة بَرَّةٌ، إذا كانت بارَّةً بأهلها حسنة العشرة لهم (٤٢) وقد ورد هذا الاسم لها في حديث حَفْرَ زَمْرَمَ لقد قيل لعبد المطلب: احفر بَرَّةً؟ (٤٣) وأشار صاحب (البحر العميق) إلى سبب تسميتها بَبَرَّةً، بقوله: سميت به لأنها فاضت للأبرار، وغاضت عن الفجار (٤٤)

٢. بُشْرَى على وزن فُعْلَى من الفعل بَشَرَ كَفَرِحَ (٤٥) ولعلها سميت بذلك لأنها كانت بُشْرَى لهاجر، أو هي بشرى لكل من يشرب ماءها ويتصلَّعُ به بالألَّا يكون منافقاً، فهي براءة له من النفاق، وكفى بذلك بُشْرَى، ولعلها بشرى بإتمام الحج، ففي حديث طويل ذكره الأزرقى عن ابن طاووس أنه كان يقول عن شرب ماء زمزم إنه من تمام الحج (٤٦) ولعلها بُشْرَى لصاحبها بأنه. إن شاء الله. من الأبرار لقول ابن عباس: "صَلُّوا فِي مُصَلَّى الْأَخْيَارِ، وَاشْرَبُوا مِنْ شَرَابِ الْأَبْرَارِ، قِيلَ لابن عباس: ما مُصَلَّى الْأَخْيَارِ؟ قال تحت الميزاب، قيل: وما شرابُ الأبرار؟ قال: ماءُ زَمْرَمَ (٤٧)

(٣٨) مراعيًا في ذلك الترتيب الألفبائي.

(٣٩) ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان (٤٠٦/١) والضياء الحنفي، البحر العميق (٢٠٠/١)

(٤٠) ابن منظور، مُجَدِّد بن مكرم، اللسان، (بر).

(٤١) الفيومي، أحمد بن مُجَدِّد،، المصباح المنير، (بر).

(٤٢) الفيومي، أحمد بن مُجَدِّد،، المصباح المنير (بر).

(٤٣) السنجاري، علي بن تاج الدين، منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاية الحرم (٤٤/٢)، تحقيق: الدكتور جميل

المصري، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م. والسيوطي، عبد الرحمن، الدر المنثور

(٢٧٨/٧).

(٤٤) الضياء الحنفي، البحر العميق (٢٠٠/١).

(٤٥) الفيومي، أحمد بن مُجَدِّد،، المصباح المنير (بشر).

(٤٦) الأزرقى، مُجَدِّد بن عبد الله، أخبار مكة (٧٥/٢). ذكر ذلك بعد حديث طويل مفاده أنه ﷺ مج في دلو من

ماء زمزم ثم أهرق فيها، وطلب الشرب منها، وشرب، وعلق طاوس بعد ذلك بما ذكرناه.

(٤٧) الأزرقى، مُجَدِّد بن عبد الله، أخبار مكة (٥٣/٢).

٣. بركة: البركة في اللغة: هي النماء والزيادة^(٤٨) وفي الاصطلاح الشرعي ثبوت الخير الإلهي في الشيء، ولما كان الخير الإلهي يصدر من حيث لا يُحسُّ على وجه ولا يحصى ولا يُحصَرُّ قيل لكل ما يُشَاهَدُ منه، زيادةٌ غير محسوسة: هو مبارك، وفيه بركة^(٤٩) فتسميتهم زَمْزَمُ بركة، لما في ماء زَمْزَمَ من معاني البركة، من حيث كثرة مائها وزيادته، ومن حيث ما فيها من الخير والفضل، والأحاديث والآثار الواردة في فضلها على شاربها كثيرة، فنفعها حسبي ومعنوي، وخيرها وفير، وزَمْزَمُ لما شَرِبَتْ له، وهذا الاسم يلتقي مع اسم آخر وهو (مباركة).

٤. تُكْتَمُ: بالضم ثم السكون وفتح التاء^(٥٠) أي على ما لم يُسَمَّ فاعله^(٥١) أي مكتومة، سميت بذلك لأنها كانت مكتومةً قد دُفِنَتْ منذ أيام جُرْهُمَ حتى أظهرها عبدُ المطلب، وفي حديث حَفْرِ زَمْزَمَ أنه قيل له: احفر زَمْزَمَ خبيثة الشيخ الأعظم، فاستيقظ، فقال: اللهم بَيِّنْ لي، فَأُبَيِّنَ في المنام مرةً أخرى فقبل له: احفر تُكْتَمَ، بين الفَرْثِ والدم^(٥٢)

٤. حَرْمِيَّةٌ: بكسر الحاء وبضمها، أي منسوبةٌ إلى الحرم على غير قياس، والقياس حَرَمِي بفتح الحاء، والحرم مصدر الفعل حَرَمَ كَفَرَحَ، أريد به اسمُ المفعول أي المحرَّم، وأصلُ معناه هو المنع، يقال: محارمُ الله أي ما منعه الله وحرمه، مما لا يجوز انتهاكه^(٥٣) والظاهر أنهم أطلقوا على زَمْزَمَ هذا الاسم، لأن لها حرمةً الحرم من المنعة والمهابة والحرمة. وبيان ذلك أنهم قالوا: إن حريمَ البئر هو ما حولها من مرافقها وحقوقها، وحريمَ النهر ملقى طينه، والممشى على حافته، ونحو ذلك،^٤ وهذا يفيد أنهم أطلقوا عليها حرمة لما لها من حرمة بسبب قربها من الكعبة والمسجد الحرام، ومما يؤكد هذا التفسير أنهم بنوا على هذا المدلول أحكاماً شرعية فهل هي من المسد أو خارج المسجد؟ وثمة سؤال أورده صاحب منائح الكرم فيه إلى بعض علماء العصر صورته: ما قولكم رضي الله عنكم ونفع بعلمكم المسلمين هل بئر زمزم وكذا حريمها - وهو البناء الدائر على فم البئر من غير المسجد - فلا يحرم للجنب المكث فيه ولا البصاق ولا الغسل ولا غير ذلك مما يحرم فعله في المساجد؟ أم من المسجد، فيحرم، وله حكم المسجد ذاته ويجوز فيه الاعتكاف ويجرم دخوله جنباً والمكث فيه ويستحب تقديم رجله اليمنى عند دخوله وركعتي التحية إن أمكن فجلس فيه افتونا مأجورين ثم ساق جواب الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله الطبري ومضمونه أن لها حرمة المسجد قائلاً: إن لها حرماً وأن ما حولها له حكم المسجد،^{٥٥} ثم نقل فتاوى العلماء في ذلك وكلهم ينطلقون من فكرة أنها حرمة المسجد

^(٤٨) ابن فارس، أحمد بن فارس، مقاييس اللغة (برك) تحقيق: محمد عبدالسلام هارون، الطبعة الثانية، البابي الحلبي، ١٩٦٩م. وانظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، اللسان (برك) أيضاً.

^(٤٩) الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، (٢٤). تحقيق: محمد سيد كيلاني، البابي الحلبي، الطبعة الأخيرة، ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.

^(٥٠) هكذا ضبطها الحموي في معجمه (٣٨/٢) وعند الضياء الحنفي، البحر العميق (٢٠١/١) تكتم بوزن تُكْتَب من غير ضبط قال: كذا ذكره النووي.

^(٥١) الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط (كتم).

^(٥٢) الضياء الحنفي، البحر العميق (٢٥٥٧/٥) والأزرق، محمد بن عبد الله، أخبار مكة (٤٢/٢) و السيوطي، عبد الرحمن، الدر المنثور (٢٨٦/٧).

^(٥٣) انظر لذلك: ابن منظور، محمد بن مكرم، اللسان، والفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط و الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير، (حرم) و الضياء الحنفي، البحر العميق (٢٠٠/١).

^(٥٤) ابن منظور، محمد بن مكرم، (حرم)

^(٥٥) السنجاري، علي بن تاج الدين، منائح الكرم ٤١٠/١ بتصرف يسير

بل إن في جواب مفتي الشافعية نقلاً عن ابن حجر استعمل فيه لفظنا "حريم زمزم" قال إن حريم زمزم من المسجد " وكذا قال مفتي المالكية قال "نعم البئر زمزم مع حريمها ليست من المسجد" ^{٥٦} ولا شك أن هذا الاستعمال يؤكد أن "حرمة" أطلق على سبيل أن لها حرمة المسجد لكونها قريبة منه والله أعلم

وربما أطلق عليها حرمة لأنها لعبد المطلب، لا يُحَقُّ لأحدٍ غيره التصرف فيها، أو مشاركتها بها، نستدلُّ على ذلك من قال ابن منظور: حريم البئر أربعون ذراعاً، هو الموضوع المحيط بما يُلقى فيه تُرابها أي أن البئر التي يحفرها الرجل في مواتٍ فحريمها ليس لأحدٍ أن يتنزل فيه ولا ينازعها عليها، وسُمِّيَ به لأنه يحترق منع صاحبه منه، أو لأنه محترق على غيره التصرف فيه ^(٥٧) فالظاهر من هذا النص، أن إطلاق اسم حرمة على زمزم، كان بسبب أن قريشاً قالت لعبد المطلب: يا عبد المطلب إنها بئر إسماعيل، وإن لنا فيها حقاً، فأشركنا معك فيها، فقال عبد المطلب: ما أنا بفاعلٍ، إن هذا الأمر حُصِنَتْ به دونكم، وأعطيتُ من بينكم "وتتمة القصة تنبي أنهم أذعنوا له، وقالوا: قد والله قضى الله عز وجل لك علينا يا عبد المطلب، والله لا نخاصمك في زمزم أبداً، الذي سفاك الماء بهذه الفلاة هو الذي سفاك زمزم، فارجع إلى سقايتك راشدأ ^(٥٨) ومن ثم افتخر بنو عبد مناف على غيرهم من اتلعب بزمزم فإنها كما السنجاري: بئر إسماعيل، وفي ذلك قال مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس:

وزمزم في أرومتنا ونفقاً عين الحاسدين ^{٥٩}

فهذا كله يفيد أنه ربما أطلقوا عليها حرمة، يريدون من ذلك أنها لعبد المطلب يتصرف بها، ويحرم على غيره مشاركتها بها، ولعل مما يؤكد ذلك أنهم أطلقوا عليها حفيرة عبد المطلب "كما سيمر معنا، لكن التفسير الأول وهو نسبتها إلى الحرم هو المتجه والله أعلم. ولعل اجتماع ذلك كله، دعاهم إلى إطلاق "حرمة" عليها، والله أعلم.

٥. حفيرة عبد المطلب: ذكرها البكري وقال ذكر ذلك أبو عمر الزاهد ^(٦٠)، وهي واضحة، يعني لأنه هو الذي حفرها بناء على الرؤيا المشهورة ^{٦١}

٦. ركضة جبريل: (جبرائيل) أي ضربته جبريل، لأن أصل الركض الضرب بالرجل، والإصابة بها، والركضة هي الدفعة والحركة ^(٦٢) لذا سميت به، لأن جبريل ضرب الأرض بعقبه وقيل: بجناحه، ولذا قالوا أيضاً: إن من أسمائها (همزة جبريل) فالسبب واحد، لأن الهمز هو الضرب أيضاً ^(٦٣) وقد أورد خويلد ابن عبد العزى في شعر له أنها "حفيرة إبراهيم وأنها ركضة جبريل قال:

أقول وما قولي عليهم بسببة إليك ابن سلمى أنت حافر زمزم

^{٥٦} السنجاري، علي بن تاج الدين، منائح الكرم ١، ٤١٢، بتصرف

^(٥٧) ابن منظور، محمد بن مكرم، اللسان (حرم).

^(٥٨) الأزرقى، محمد بن عبد الله، أخبار مكة (٤٦/٢).

^{٥٩} السنجاري، علي، منائح الكرم، ٤٠٧/١

^(٦٠) البكري، عبد الله بن عبد العزيز، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (٧١/٤).

^{٦١} - انظر قصة الرؤيا عند الأزرقى، أخبار مكة ٤٤/٢

^(٦٢) انظر: ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان (١٤٨/٣) و ابن منظور، محمد بن مكرم، اللسان (ركض).

^(٦٣) انظر: الضياء الحنفي، البحر العميق (٢٠١/١) و ابن منظور، محمد بن مكرم، اللسان (همز).

حفيرة إبراهيم يوم ابن آجر وركضة جبريل على عهد آدم^{٦٤}

٧. الرّوَاءُ: بفتح الراء، يقال: رَوَيْتُ من الماء بالكسر أروي رَوِيًّا ورِيًّا ورَوِيًّا أيضاً، مثل رَضِيْتُ رِضاً^(٦٥) وأشار ابن منظور إلى مده قائلاً: ماءٌ رَوِيٌّ ورَوِيٌّ ورَوَاءٌ: كثيرٌ مُرَوٍ، قال الحطيئة:

أرى إبلي بجوف الماء حنَّتْ
وأعوَّزها به الماء الرّوَاءُ

ويقال: ماءٌ رِوَاءٌ بالفتح والمد، أي عَدْبٌ وأنشد ابن بري لشاعر:

من يكُ ذا شكِّ فهذا فَلَجٌ
ماءٌ رِوَاءٌ وطريقٌ نَهْجٌ

وأضاف ابن منظور بعد ذلك قائلاً ما يفيد أن الرّوَاء بالفتح والمد هو الماء الكثير، وقيل: العذب الذي فيه للواردين ريٌّ^(٦٦).

وتكادُ المعاجمُ تُجمَعُ على أن معاني الرّوَاء هي الماء الكثير العذب الذي يروي شاربه، وهذه المعاني جميعها تنطبق على زَمَزَمَ ومائها؛ وقد ورد هذا الاسم في حديث حَفْرَ زَمَزَمَ، فقد نقل الأزرقي عن ابن إسحاق قوله: وسمعت أيضاً من يُحدِّثُ في أمر زَمَزَمَ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قيل لعبد المطلب حين أمر بحفْرَ زَمَزَمَ: ادعُ بالماء الرّوَاء غير الكدر^(٦٧)، وقيل في تفسير اسمها "هزيمة جبريل ما يفيد أنها رِوَاء يقال: هَزَمَ الأرض: أي كسرَ وجهها عن عينها حتى فاضت بالماء الرّوَاء^(٦٨) وأكد على ذلك أيضاً صاحبُ (البحر العميق) فذكر أن عبدالمطلب سمع من يقول له حين أمر بحفْرَ بئر زَمَزَمَ:

ادعُ بالماء الرّوِيَّ غير الكدرِ
يسقي حجيج الله في كلِّ مَبَرِّ

ليس يُخَافُ منه شيء ما عَمِرَ^(٦٩)

ثم شرحه بقوله: وقوله: ادعُ بالماء الرّوِي غير الكدر يقال: ماءٌ رِوِيٌّ بالكسر والقصر، ورِوَاءٌ بالفتح والمد.

وقوله يسقي إلخ: هو مَفْعَلٌ من الرِيّ: يريدُ في مناسِكِ الحج ومواضعِ الطاعة

وقوله: ليس يخاف إلخ أي ما عَمِرَ هذا الماء، فإنه لا يؤدي ولا يُخَافُ منه ما يُخَافُ من المياه إذا أُفْرِطَ في شربها، بل هو بركة على كل حال^(٧٠) وواضح أن ما ذكرناه حول معاني لفظة الرّوَاء ينسحبُ على لفظة "صافية" ومروية، وسالمة..... أيضاً .

(٦٤) - السنجاري ، علي بن تاج الدين ، منائح الكرم (٤٠٧/١) ، وفيه : ابن سلمى هو عبد المطلب ، لأن أمه هي سلمى بنت عمرو أحد بني النجار ، تزوجها هاشم فولدت له عبد المطلب ، وأجر هي هاجر ، ومراده من حفيرة إبراهيم ، أنها بسبب ابنه إسماعيل ، فنسبت إلى الجد .

(٦٥) ابن منظور ، مُجَدِّد بن مكرم ،، اللسان (روي).

(٦٦) ابن منظور ، مُجَدِّد بن مكرم ،، اللسان (روي) وانظر الجوهري ، إسماعيل بن حماد ، الصحاح ، و الفيروز أبادي ، مُجَدِّد بن يعقوب ،، القاموس المحيط ، و الفيومي ، أحمد بن مُجَدِّد ،، المصباح المنير (روي).

(٦٧) الأزرقي ، مُجَدِّد بن عبد الله ، في أخبار مكة (٤٦/٢).

(٦٨) ابن منظور ، مُجَدِّد بن مكرم ،، اللسان (هزم) وانظر: ياقوت الحموي ياقوت بن عبد الله ، معجم البلدان (١٤٨/٣).

(٦٩) الضياء الحنفي ، البحر العميق (٢٥٦٤/٥) ، وانظر: الأزرقي ، مُجَدِّد بن عبد الله ، ، أخبار مكة (٤٦/٢).

(٧٠) الأزرقي ، مُجَدِّد بن عبد الله ، ، أخبار مكة (٤٦/٢).

٨. سُقِيَ اللهُ لِإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (سُقِيَ إِسْمَاعِيلَ)، بضم السين على وزن فُعَلَى، اسم من الفعل سقى يسقى أو من الفعل أَسَقَى يسقى، والمعنى: رَوَّاهُ اللهُ لِإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أو هبَّ اللهُ لِإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال ابن منظور: "ويغلب على معاني السقيا أن تكون في النفع وأسقاه سِقَاءً، وهبه له (٧١)، قال صاحب (المصباح المنير) " وسقيته وأسقيته دعوتُ له، فقلت له سُقِيَاً لك وفي الدعاء سُقِيَاً رحمة لا سُقِيَاً عذاب، على فُعَلَى بالضم أي اسقنا غيثاً فيه نفع بلا ضررٍ ولا تخريبٍ" (٧٢) وهذا يدل على أن سُقِيَاً زمزم هي سُقِيَاً رحمةً ونفعاً. ومما يؤكد اشتهاً هذا الاسم أنه ورد في حديث مشهور ساقه صاحب منائح الكرم لبيان فضائل زمزم قال وفضائل زمزم كثيرة جداً ففي المستدرک من حديث مرفوع عن ابن عباس رضي الله عنهما "ماء زمزم لما شرب له، إن شربت لتشتفي به شفاك تالله، وإن شربته لقطع ظمأك قطعه الله هي هزمة جبريل، وسقيا الله لإسماعيل" ٧٣

٩. سَالِمَةٌ: مشتقة من السلامة اسم فاعلٍ من الفعل سَلِمَ يَسْلِمُ كَتَعَبَ يَتَعَبُ أي حُلِّصَ من الآفات ونجا فهو سالم، وهي سالمة (٧٤) وهي صفة مشبهة الآن، سُمِّيَتْ بذلك لأنها سَلِمَتْ من الأَكْدَارِ تلك التي تشوب غيرها من مياه العيون والآبار.

١٠. سَيِّدَةٌ (٧٥): مشتقة من السؤدد، أي من الفعل سَادَ يَسُودُ والاسم السؤدد وهو المجد والشرف، فهو سيد والأنتى سيدة، وربما سميت بذلك:

١. لسخائها وكثرة مائها، فمن معاني السيد: السخي، وهي كما نعلم موصوفة بالماء الكثير، قالوا: ماء زمزمٌ وَزَمَزَامٌ أي كثير (٧٦)

٢. لشرفها ورفعتها ومكانتها، ففي اللسان: وَسَيِّدٌ كُلُّ شَيْءٍ أَشْرَفُهُ وَأَرْفَعُهُ (٧٧).

٣. لأنها غلبت وسادت غيرها من الينابيع والآبار (٧٨) وذلك لبركتها وشرفها وفضائلها، يقال: سَادَ قَوْمَهُ يَسُودُهُمْ سيادةً، فهو سيد القوم أي رئيسهم وأشرفهم، ولعل مما يؤنس لقبول هذا المعنى أن الراجح للبقيني فضلها على الكوثر وأنه كان يعلل ذلك بغسل صدره ﷺ به دون غيره حين شقَّ عنه جبريل ٧٩ ويبدو لي أنه أُطْلِقَ عليها سيادةً لاجتماع معاني السيادة فيها، ولقد ورد كثيرٌ من الأحاديث والآثار الدالة على سؤدها ورفعتها ومكانتها، ومن أهمها ما روي عن

(٧١) ابن منظور، مُجَّد بن مكرم،، لسان العرب، (سقى)، وانظر: ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان (١٤٨/٣) والمجرب المكي، عبدالله بن إبراهيم، عدة الإجابة (١٢٥)، والضياء الحنفي،، لبحر العميق (٢٠٠/١).

(٧٢) الفيومي، أحمد بن مُجَّد،،، المصباح المنير (سقي).

(٧٣) وبعده: : ورجاله موثون إلا أنه اختلف في إرساله وإيصاله أصح، كذا في الفتح هذا الحديث الدارقطني عن ابن

عباس مطولا وحديث المستدرک ماء زمزم لما شرب له انظر السنجاري، منائح الكرم ٤٠٨/١

(٧٤) وسيمر معنا أن من أسمائها: صافية وطيبة وعافية وكلها تلتقي في دلالاتها المعنوية.

(٧٥) الضياء الحنفي، البحر العميق (٢١٠/١) وهي صفة مشبهة أصلها سيود، اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون. فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء ان فصارت صورتها سَيِّدَةٌ.

(٧٦) البكري، عبد الله، معجم ما استعجم (٧٠١/٢).

(٧٧) ابن منظور، مُجَّد بن مكرم،،، لسان، و الفيومي، أحمد بن مُجَّد،،، المصباح المنير (سود).

(٧٨) انظر كثيراً من هذه العيون والآبار عند الأزرقى، مُجَّد بن عبد الله، في أخبار مكة (٢١٤/٢).

(٧٩) السنجاري، علي، علي بن تاج الدين، منائح الكرم، ٤١٤/١

ابن عباس أن النبي ﷺ قال: "خيرُ بئرٍ على وجه الأرض، ماءُ زَمْزَمَ" أخرجه ابن حبان، والطبري بسندٍ رجاله ثقات^(٨٠) وعن عليٍّ عليه السلام أنه قال "خيرُ بئرٍ في الأرضِ زَمْزَمُ وشُرُّ بئرٍ في الأرضِ بَرْهُوتُ، يجتمعُ فيها أرواحُ الكفارِ" رواه عبد الرزاق، وروى عن عبد الله بن عمر عليه السلام أن في زَمْزَمَ عيناً من الجنة من قِبَلِ الركنِ، رواه القرطبي في التفسير^(٨١) ثم لا شك أن قولَ الرسول ﷺ: إنها مباركة،، إنها طَعَامٌ طُعِمَ وشَفَاءٌ شُفِيَ^{٨٢} هو من أَوْصَحِ الدلائلِ على فضلها وسيادتها ورئاستها.

أخيراً قال لي أحدُ طلبتي النابحين وهو الأستاذ منصورُ فواز الغامدي لم لا يُقال: إنها سميتُ بذلك من أجل السيدة هاجر؟. قلت: ربما كان سبباً وليسَ ببعيد أيضاً أن تكون سميتُ بذلك لأجل السيدة سارة، فقد صدر صاحب منائح الكرم اسمها بالسيدة^(٨٣)، كما أُطلقَ هذا اللقبُ أيضاً على زوجة إسماعيل^(٨٤) ولا شك أن إطلاقَ السيدة على المرأة يعني أن لها منزلةً سامقةً ومكانةً عاليةً لذا لا غرابةً من تسمية زَمْزَمَ بذلك بعد أن رأينا مدى منزلتها ومكانتها وشرفها عندهم.

١١. شِبَاعَةٌ (شِبَاعَةُ الْعِيَالِ) الشَّبَعُ ضِدُّ الْجُوعِ، وَشِبَاعَةٌ بضم الشين وفتح الباء بوزن قُدامة من شَبَعٌ يَشْبَعُ شَبَعًا وهو شبعان، والأنتى شَبَعِي وشبَعانة وجمعهما شِبَاعٌ وشَبَاعِي^(٨٥)

وذكر الأزرقى عن أبي الطفيل قوله: سمعتُ ابنَ عباسٍ يقول: كانت تُسمَّى في الجاهلية شِبَاعَةَ . يعني زَمْزَمَ . ويزعم أنها نِعَمَ العَوْنِ على العِيَالِ^(٨٦) وأشار إلى ذلك أيضاً ابنُ منظور بقوله: وفي الحديث أن زَمْزَمَ كان يقال لها في الجاهلية: شِبَاعَةَ، لأن ماءها يروي العطشانَ ويُشْبِعُ الغرثانَ^(٨٧) وقالَ صاحبُ (البحر العميق): إنها سميتُ شِبَاعَةَ الْعِيَالِ، لأن أهلَ الْعِيَالِ من الجاهلية كانوا يَعْذُونَ بعيالهم فَيُنِيحُونَ عليها فتكونُ صَبوحاً لهم^(٨٨) وكان من الواجب أن تأتي صيغةُ المبالغة منها على وزن (فَعَالَةٌ) بفتح الشين، وتشديد الباء لكنها وردت بضم الشين وفتح الباء مع تخفيفها، فما تفسيرُ ذلك؟.

^(٨٠)الضياء الحنفي، البحر العميق ٢١٠/١ والسنجاري، علي بن تاج الدين منائح الكرم ٤١٣/١ وفي الهامش "خير ماء في الأرض (الحديث) رجاله ثقات .

^(٨١)الضياء الحنفي، البحر العميق (٢١٠/١) و البكري، عبد العزيز بن مُجَدِّد، معجم ما استعجم (٢٤٦/١) وانظر: تخرج الأقوال في هامش الضياء الحنفي، البحر العميق، وبرهوت: بئر عميق بمحضرموت لا يستطيع النزول إلى قعرها. انظر: السيوطي، عبد الرحمن، الدر المنثور (٢٨٦/٧). (٣٥٣/١٣).

^{٨٢} سيأتي الحديث عنه في موضعه من البحث

^{٨٣} (السنجاري، علي بن تاج الدين، منائح الكرم (٢٧٥/١) .

^{٨٤} (الأزرقى، مُجَدِّد بن عبد الله، أخبار مكة (٨١/١) والسنجاري، علي بن تاج الدين، منائح الكرم ٣٢٥/١، وفيه أنها بنت مضاض الجهمي واسمها سيدة .

^(٨٥)البكري، عبد العزيز بن مُجَدِّد، معجم ما استعجم (٧٠١/٤) و ابن منظور، مُجَدِّد بن مكرم، اللسان (شبع)، و ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان (١٤٨/٣)، والضياء الحنفي، البحر العميق (٢٠٢/١)، (٢٥٦٨/٥) والمحجوب المكي، عبدالله بن إبراهيم، عدة الإناية (٢٠٠).

^(٨٦)الأزرقى، مُجَدِّد بن عبد الله،، أخبار مكة (٥٢/٢)، وانظر السيوطي، عبد الرحمن، الدر المنثور (٢٨٨/٧).

^(٨٧)ابن منظور، مُجَدِّد بن مكرم، اللسان(شبع).

^(٨٨)الضياء الحنفي، البحر العميق (٢٠٢/١).

يبدو لي أن أصلها كان كذلك أي شَبَاعَة، فخففت بحذف التضعيف من الباء، لأن التضعيف ثقيلٌ على ألسنتهم كما قال سيويه^(٨٩) فصارت شَبَاعَة، ثم ضموا الشين لأن شُرْبَة واحدة منها تروي، قال ابن منظور، وأشبعثُ فلاناً من الجوع وعنده شُبْعَة من طعام بالضم، أي قَدُر ما يَشْبَعُ به مرةً، ثم ذكر أن زَمَزَمَ قيل عنها في الجاهلية: شَبَاعَة بضم الشين، الأمر الذي يدل على أن ابن منظور لحظَ ما حصلَ لها من تغيير في المعنى استتبعه تغييرٌ في الحركة أي لقد ضُمَّتْ شينُها للدلالة على أن القليل من مائها ولو شُرْبَة واحدة تُشْبَعُ فصارت شَبَاعَة.

وربما كان أصلها شَبَاعِي جمع شَبَعِي المؤنثة، ولعلمهم لحظوا كثرة مائها فاستعملوها جمعاً، وأدى الاستعمال اللغوي إلى الوقف على الألف المقصورة بالتاء المربوطة فصارت شَبَعَة، ثم ضموا شينها للدلالة على أن شُرْبَة واحدة منها تروي قالوا: عنده شُرْبَة من ماء أي مقدارٌ شُرْبَة الرَّيِّ^(٩٠) فكان ضمة شين شُرْبَة دلّت على قَدْرٍ من الماء محدد، وكذا شَبَاعَة لعل ضمة شينها تفيد ذلك أيضاً، وقد مال العربُ في بعض الأحيان إلى ضم الحرف الأول للدلالة على الكثرة مع تغييرٍ آخرٍ يعترى حروفَ الكلمة فقالوا: رجلٌ أَكَلَهُ وشُرْبَة أي كثيرُ الأكل والشرب^(٩١) وربما كانت هذه اللفظة من الألفاظ التي وردَ فيها الفتح والضمُّ وهما بمعنى واحد، يقال: في صوته زَفَاعَة وزَفَاعَة إذا كان رفيع الصوت، وعن يونس "العربُ تقول: عليه طَلَاوَة وطلَاوَة للحُسْنِ والقُبُولِ"^(٩٢). والداعي إلى شرح ذلك أن القياس في اسم المرة أن يقال "شُرْبَة" على وزن فَعْلَة، فلعل ما عرضناه من تفسير يتجه، لأن ابن منظور في نصوصه يؤكد على أن شَبَعَة بضم الشين هو "مايشبع به مرة" وقالوا عنده شُرْبَة من ماء أي مقدار شربة الري " فلعل شَبَعَة بضم الشين تدل على المرة سماعاً .

ونخصُّ من كل ما سبق من احتمالات إلى أنه لا مانع من القول: إن شَبَاعَة بالضم، وشَبَاعَة بالفتح صارتا بمعنى واحد، والأصلُ شَبَاعَة على المبالغة.

وأخيراً لعل من المفيد أن نتذكر هنا الحديث الشريف المشهور الذي أورده مسلم بلفظ "إنها مباركة، وإنها طعامٌ طعمٌ" وزاد غير مسلمٍ في حديث آخر، وشفاءٌ سُقْمٍ^(٩٣) أي يشبع الإنسان إذا شرب ماءها كما يشبع من الطعام^(٩٤) وثمة أقوال وآثار تدل على أن ماء زمزم يُشْبَعُ، فعن أم أيمن قالت: ما رأيتُ رسولَ الله ﷺ شكا صغيراً ولا كبيراً جوعاً ولا عطشاً، كان يغدو فيشربُ من ماء زمزم، فأعرضُ عليه الغداء فيقول: لا أريده أنا شعبان^(٩٥) وعن ابن عباس أنه قال

(٨٩) سيويه، عمرو بن عثمان، الكتاب، (٤/٤١٧)، تحقيق: محمد عبدالسلام هارون، الهيئة المصرية للكتاب. الطبعة الثانية، ١٩٧٧ م. و المبرد، محمد بن يزيد باس، المقتضب (١/٢٤٦) تحقيق: الشيخ عبدالحالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت. و الدكتور أنيس، إبراهيم الأصوات اللغوية، (٢١١)، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الخامسة ١٩٧٩ م.

(٩٠) ابن منظور، محمد بن مكرم، اللسان (شرب).

(٩١) ابن منظور، محمد بن مكرم، اللسان (شرب).

(٩٢) ابن سيده، علي بن إسماعيل، المخصص (١/٩١)، دار الفكر للطباعة والنشر، القاهرة.

(٩٣) ذكر هذا التخريج المحجوب المكي، عبدالله بن إبراهيم، عدة الإنابة (١٢٦). وانظر روايات أخرى فيما يأتي في

اسمها "طعام طعم.. الخ

(٩٤) ابن منظور، محمد بن مكرم، اللسان، والفيروز أبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط (طعم).

(٩٥) السيوطي، عبد الرحمن، الدر المنثور (٧/٢٩٠).

"ما من رجلٍ يشربُ من ماء زَمْزَمَ حتى يتصَلَّعَ إلا حطَّ اللهُ به داءً من جوفه، ومن شَرِبَهُ لِعَطَشٍ رَوِيٍّ، ومن شربه لجوعٍ شَبِعَ" (٩٦)

ولعلي لا أكون مجانباً للصواب إن قلت: إن أكثرَ أسمائها تفيدها أنها تُشَبِعُ وتكفي وتُعَدِّي وتروي.... إلخ

١٢. شرابُ الأبرار: ورد هذا الاسمُ المركبُ من مضافٍ ومضافٍ إليه في عدد من الروايات منها:

١. منها ما رُوِيَ عن ابن عباس أنه قال: صَلُّوا في مُصَلَّى الأَخْيَارِ واشربوا من شرابِ الأبرارِ، قيل لابن عباس: ما مُصَلَّى الأَخْيَارِ؟ قال: تحتَ الميزابِ، قيل: وما شرابُ الأبرارِ؟ قال: ماءُ زَمْزَمَ (٩٧).

٢. ومنها ما ذكر عن وَهْبِ بنِ مَنِبَهٍ أنه قال: والذي نفسي بيده إن زَمْزَمَ لفي كتابِ اللهِ تعالى مضمونةٌ، وإنها لفي كتابِ اللهِ بَرَّةٌ، وإنها لفي كتابِ اللهِ شرابُ الأبرارِ، وإنها لفي كتابِ اللهِ طعامٌ طَعْمٌ، وشِفَاءٌ سَقِيمٌ (٩٨).

٣. ومنها ما ذَكَرَ عن عكرمة بنِ خالدٍ أنه قال: بينما أنا الليلةُ في جوفِ الليلِ عندَ زَمْزَمَ جالسٌ إذ نَقَرُ يطوفون، عليهم ثيابٌ بيضٌ لم أرَ بياضَ ثيابهم بشيءٍ قطُّ، فلما فَرَّغُوا صَلُّوا قريباُ مني، فالتفتُ بعضهم فقال لأصحابه: اذهبوا بنا نشربُ من شرابِ الأبرارِ قال: فقاموا فدخلوا زَمْزَمَ فقلتُ: والله لو دخلتُ على القومِ فسألتهم، فقمْتُ فدخلتُ فإذا ليس فيها أحدٌ من البشرِ. (٩٩).

فهذه الرواياتُ تؤكدُ أن هذا التركيبَ الإضافيَّ قد أُطلقَ عليها، والظاهر أن ابن عباس . إن قلنا إنه أولُ من أطلقَ هذا الاسمَ عليها . استشعرَ أن ماءها مخصوصٌ بالأبرارِ، ولعل أولَ البشائرِ الدالةِ على أنَّ شاربِها من الأبرارِ الأَخْيَارِ، ومن أصحابِ الفضلِ الكثيرِ والطاعاتِ، هي تلك البشارةُ التي يتضمنها حديثُ الرسول ﷺ "التصَلُّعُ من ماءِ زَمْزَمَ براءةٌ من النفاق" (١٠٠) والحديثُ مروِيٌّ عن ابنِ عباسٍ نفسه، فهل استشرفَ ﷺ هذا المعنى وتفاءل فتوسَّمه في شاربِ ماءِ زَمْزَمَ؟ لا نستبعدُ ذلك.

وما ذلك إلا لفضلها وخيرها، فكأن لها أثراً في استمرارِ الطاعاتِ ودوامِ العباداتِ وازديادِ الفضائلِ.

١٣. صافيةٌ: مشتقةٌ من الصفاءِ من الفعلِ صَفَا يصفو، من بابِ قَعَدَ أي الخالصةُ من الكَدْرِ (١٠١)، وقد وصفها العباسُ بأنها شرابٌ صافٍ (١٠٢). وواضح أن هذه الدلالةُ تلتقي مع دلالةِ أسماءِ أخرى كسالمةٍ وطاهرةٍ وروء.

١٤. طَعَامٌ طَعْمٌ وشِفَاءٌ سَقِيمٌ (١٠٣) ورد هذان الاسمان المركبان من مضافٍ ومضافٍ إليه في حديثٍ أورده مسلمٌ بلفظٍ "إنها مباركةٌ، وإنها طَعَامٌ طَعْمٌ" وزاد غيرُ مسلمٍ في حديثٍ آخر، وشِفَاءٌ سَقِيمٌ (١٠٤) أي يشبِعُ الإنسانُ إذا شَرِبَ ماءها

(٩٦) السيوطي، عبد الرحمن، الدر المنثور (٢٩١/٧).

(٩٧) الأزرقى، مُجَدِّد بن عبد الله، أخبار مكة (٥٣/٢) وانظر: السيوطي، عبد الرحمن، الدر المنثور (٢٥٢/٧).

(٩٨) الأزرقى، مُجَدِّد بن عبد الله، أخبار مكة (٤٩/٢)، والمحجوب المكي، عبدالله بن إبراهيم، عدة الإنابة (٢٧).

(٩٩) الأزرقى، مُجَدِّد بن عبد الله، أخبار مكة (٥١/٢).

(١٠٠) الأزرقى، مُجَدِّد بن عبد الله، أخبار مكة (٥٢/٢) والسنجاري، علي بن تاج الدين، منائح الكرم، ٤٠٩/١.

(١٠١) الفيومي، أحمد بن مُجَدِّد، المصباح المنير (صفو).

(١٠٢) الأزرقى، مُجَدِّد بن عبد الله، أخبار مكة (٥٥/٢).

(١٠٣) ياقوت الحموي ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، (١٤٨/٣)، والمحجوب المكي، عبدالله بن إبراهيم، عدة

الإنابة (١٢٦) وقد وردت صبغ أخرى لهذه العبارة في أحاديث شريفة ذكرها السيوطي في الدر المنثور

(٢٩١/٧) منها: أنها شِفَاءٌ من سَقِيمٍ وطَعَامٌ من طَعْمٍ، وفي (٢٨٢/٧) : فيه : طَعَامٌ من الطعمِ وشِفَاءٌ من

السُقْمِ.

كما يَشْبَعُ من الطعام (١٠٥) وقال العلقمي: إنها طَعَامٌ طُعْمٌ، بالإضافة، والطعام اسم لما يُطْعَمُ، فكأنه قال: طعامٌ إشباعٍ أو طُعْمٌ شَبَعٌ من إضافة الشيء إلى صفته (١٠٦)، وقال صاحب (عدة الإنبابة): وضبط بعض العلماء طُعْمٌ بفتح الطاء وكسر العين، وبعضهم بضم الطاء وسكون العين، قال الكازروني: وهي طَعَامٌ بضم الطاء والعين (١٠٧) "، والمؤدى من ذلك كله واحد فهو من الفعل طَعِمَ يَطْعُمُ طَعْمًا وطَعَامًا وهو يقع على كل ما يُسَاعُ من الماء وذوق الشيء (١٠٨)، والظاهر أن اختلاف الحركات وراءه معان دلالية دقيقة فارقة، فالطُعْمُ بضم الطاء وتسكين العين في قوله ﷺ " طَعَامٌ طُعْمٌ " يراؤ به الطعام الذي يُؤْكَلُ وَيُشْبَعُ، ومن قال: طعامٌ طُعْمٌ بفتح الطاء وتسكين العين أو كسرهما، فالمراد منه أنه طعام يُشْتَهَى ويدعو إلى الاستزادة منه (١٠٩) أما طُعْمٌ بضم الطاء والعين، فقد نقل صاحب (عدة الإنبابة): عن الكازروني أنه جمع طعمٍ أي طعامٍ طاعمين، كثيرٌ في الأكل (١١٠).

. أما المعنى الثاني من هذا الاسم وهو شِقَاءٌ سُقِيمٌ، فقد قال صاحب (عدة الإنبابة) " مما بلغ من الصحة والحسن، أنها شِقَاءٌ سُقِيمٌ رواه الطبراني (١١١)، وقال صاحب (لسان العرب) "رُوي عن ابن عباس أنه قال في زَمَزَمَ: إنها طعامٌ طعيمٌ وشِقَاءٌ سُقِيمٌ، أي يَشْبَعُ الإنسان إذا شرب ماءها كما يشبع من الطعام (١١٢) ويلحق بهذا قولهم: إنها طعامٌ الأبرار، فهي مخصوصة بهم.

وما ذكرناه عن شراب الأبرار ينطبق، على طعام الأبرار أيضاً.

١٥ طاهرة: مشتقة من الطهارة، من الفعل اللازم طَهَّرَ يَطْهَرُ من باب كَرَّمَ، فهو طاهر وهي طاهرة، والظُّهْرُ بالضم نقيض النجاسة (١١٣) والمراد من طاهرة هنا أنها تُطَهَّرُ أي مُطَهَّرَةٌ، ويجوز أن يكون المراد منها أنها مُطَهَّرَةٌ بضم الميم وتشديد الهاء وفتح الراء أي هي اسم مفعول، أي طَهَّرَتْ فهي ماءٌ نقيئةٌ عذبةٌ صافيةٌ طيبةٌ سالمةٌ مما يشوب غيرها من المياه.

(١٠٤) والمحبوب المكي، عبدالله بن إبراهيم، عدة الإنبابة (١٢٦).

(١٠٥) ابن منظور، مُجَّد بن مكرم، اللسان، والفيروز أبادي، مُجَّد بن يعقوب، القاموس المحيط (طعم).

(١٠٦) والمحبوب المكي، عبدالله بن إبراهيم، عدة الإنبابة (١٢٧).

(١٠٧) والمحبوب المكي، عبدالله بن إبراهيم، عدة الإنبابة (١٢٧).

(١٠٨) ابن منظور، مُجَّد بن مكرم، اللسان، والفيروز أبادي، مُجَّد بن يعقوب، القاموس المحيط، والمصباح المنير مادة (طعم).

(١٠٩) ابن منظور، مُجَّد بن مكرم، اللسان، والفيروز أبادي، مُجَّد بن يعقوب، القاموس المحيط، و الفيومي، أحمد بن مُجَّد، المصباح المنير (طعم).

(١١٠) المحبوب المكي، عبدالله بن إبراهيم، عدة الإنبابة (١٢٦).

(١١١) المحبوب المكي، عبدالله بن إبراهيم بن حسن بن مُجَّد أمين ميرغني الحسني، عدة الإنبابة في أماكن الإجابة (١٢٦). وانظر تخرج الحديث في الهامش. وانظر: الضياء الحنفي، البحر العميق (٢٠٠/١)، ياقوت الحموي ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان (١٤٨/٣).

(١١٢) ابن منظور، مُجَّد بن مكرم، اللسان (طعم).

(١١٣) الفيروز أبادي، مُجَّد بن يعقوب، القاموس المحيط، و الفيومي، أحمد بن مُجَّد، المصباح المنير، (طهر)، وانظر السيوطي، عبد الرحمن، الدر المنثور (٦١١/١٤).

١٦. طَبِيَّةٌ: بكسر الطاء على وزن فَعْلَةٌ، يُقَالُ: طَابَ الشَّيْءُ يَطْبِيْبُ طَبِيْبًا بفتح الطاء إذا كان لذيذاً أو حلالاً فهو طَبِيْبٌ (١١٤) وهو الأفضل من كلِّ شيء (١١٥)، ومؤنثه طَبِيَّةٌ. بفتح الطاء. صارت علماً على مدينة الرسول ﷺ، قال ياقوت الحموي عن طَبِيَّةِ المكسورة الطاء: كأنه واحدة الطَّبِيْبِ، اسمٌ من أسماء زَمْرَمَ (١١٦) ولعلمهم كسروا طاءها تفرقةً لها عن طَبِيَّةِ التي هي مدينة رسول الله ﷺ، وسبب تسمية زَمْرَمَ بذلك كما قال السهيلي: هو لأنها للطيبين والطيبات من ولد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام (١١٧)، وفي حديث حَفْرٍ زَمْرَمَ، قال لعبد المطلب: احْفَرِ طَبِيَّةً (١١٨)

١٧. طَبِيَّةٌ: (١١٩) على وزن فَعْلَةٌ، ذكرها ابنُ منظور بقوله: وفي حديث زَمْرَمَ قيل له: احفر طَبِيَّةً، قال: وما طَبِيَّةٌ؟ قال: زَمْرَمٌ.

وأضاف ابنُ منظور قائلاً: سميت به تشبيهاً بالطَّبِيَّةِ الخريطة لجمعها ما فيها (١٢٠)، ولا يظنُّ ظانُّ أن هناك تصحيفاً أو تحريفاً بين طَبِيَّةِ بالطاء وهي التي ذكرها الأزرق في حديث حفر زمزم، وطَبِيَّةِ بالظاء وهي التي ذكرها ابنُ منظور في حديث حفر زمزم أيضاً، فالاسمان ثابتان بدليل أن العلماء أوردوا لكل واحد منهما تفسيراً يختلف عن الآخر، ولو كان هناك تحريف أو تصحيف، لأشاروا إليه وهو مالم نقف عليه.

١٨. عِصْمَةٌ (١٢١): على وزن فَعْلَةٌ، من الفعل عَصَمَ يَعْصِمُ كضرب يَضْرِبُ يقال: عَصَمَهُ اللهُ، أي حفظه الله وحماه ووقاه، والاسم منه هو العِصْمَةُ (١٢٢)، والظاهر أنها سميت بذلك لورود بعض الآثار والأحاديث النبوية الشريفة في فضلها، الدالة على معنى العصمة والحفظ مما هو سيء كالنفاق أو الشرك بالله، فهي على كل حال شراب الأبرار منها:

١. عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ "التَّصَلُّعُ من زَمْرَمَ براءةٌ من النفاق" (١٢٣) فهي بذلك تعصمه من النفاق وتحفظه.

(١١٤) الفيومي ، أحمد بن مُجَدِّد، المصباح المنير (طيب).

(١١٥) الفيروز آبادي ، مُجَدِّد بن يعقوب ، القاموس المحيط (طيب).

(١١٦) ياقوت الحموي ياقوت بن عبد الله ، معجم البلدان (٥٤/٤)، و الفيروز آبادي ، مُجَدِّد بن يعقوب ، القاموس المحيط (طيب) و الضياء الحنفي ، البحر العميق (٢٠١/١).

(١١٧) الضياء الحنفي ، البحر العميق (٢١/١).

(١١٨) الأزرق ، مُجَدِّد بن عبد الله ، أخبار مكة (٢٤/٢) وذكر الحموي في معجم البلدان (٥٣/٤) أن طَبِيَّةِ مدينة الرسول ﷺ ، أخذت من الطيب وهي الرائحة الحسنة لحسن رائحة تربتها فيما قيل ، وقيل: من الشيء الطيب وهو الطاهر الخالص لخلوصها من الشرك وتطهيرها منه .. وقيل: لطبيها لساكنيها ولأمنهم ودعتهم فيها ، وقيل: من طيب العيش فيها من طاب الشيء إذا وافق.

(١١٩) ابن منظور، مُجَدِّد بن مكرم ، اللسان (طي) ، و الضياء الحنفي ، البحر العميق (٢٠٠/١).

(١٢٠) ابن منظور، مُجَدِّد بن مكرم ، اللسان (طي) ، و الضياء الحنفي ، البحر العميق (٢٠٠/١)، والخريطة: هَنَّةٌ مثل الكيس تكون من الخِرْقِ والأدم تُشْرَجُ على ما فيها، ومنه خرائط كتب السلطان وعماله وأخرطها: أشرح فاهها، ابن منظور، مُجَدِّد بن مكرم ، اللسان (خرط).

(١٢١) الضياء الحنفي ، البحر العميق (٢٠٠/١)

(١٢٢) الفيومي ، أحمد بن مُجَدِّد ، المصباح المنير، ومجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز (عصم). المركز العربي للثقافة والفنون، مصر.

(١٢٣) الأزرق ، مُجَدِّد بن عبد الله ، أخبار مكة (٥٢/٢). وصدده بقوله: عن الواقدي عن عبد الحميد بن عمران عن

٢. وعن ابن عباس أيضاً أن النبي ﷺ قال " آية ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتصلُّون من زمزم" (١٢٤) وقال الأزرقى: حدثني جدِّي عن سعيد عن عثمان قال: حدثنا أبو سعيد عن رجلٍ من الأنصارٍ عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: "علامة ما بيننا وبين المنافقين أن يُدُلُّوا دلواً من ماء زمزم فيتصلَّعوا منها، ما استطاع منافقٌ قطُّ يتصلَّع منها" (١٢٥) وتمتد هذه العصمة لتشمل العصمة في أشياء كثيرة معنوية وحسية، فعن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً " زمزم لما شرب له، فإن شربته تستشفى شفاك الله، وإن شربته مستعيذاً أعاذك الله، وإن شربته لتقطع ظمأك قطعه الله، وإن شربته لشبعك أشبعك الله، وهي هزيمة جبريل وسقيا إسماعيل" (١٢٦).

فإذا شفاك الله وأعاذك وقطع ظمأك وأشبعك فقد حفظك من أضرار ما ذُكر في الحديث، ومما ذكره الأزرقى أن رسول الله ﷺ كان يحمِّله ويصبُّه على المرضى، ويستقيهم، وأنه حنَّك به الحسن والحسين (١٢٧). ولو ذكرنا ما قيل في فضائل ماء زمزم لرأينا أنها كلها تدلُّ على أنها عاصمة لشاربها حسب نيتهم وإخلاصهم واعتقادهم، فالعصمة هنا بمعنى اسم الفاعل أي عاصمة، والله أعلم.

١٩. عَوْنَةٌ: على وزن فعلة من العون، لكن العرب لم تنطق بالثلاثي منه فاعتبروه كما قال ابن منظور في حكم المنطوق به، والمشتغل عند العرب أعانته إعانة واستعان به، والاسم منه العون، والعون: الظهير على الأمر، الواحد والاثنا عشر والجمع والمؤنث فيه سواء، يكسر على أعوان، قال الليث: كلُّ شيءٍ أعانك فهو عونٌ لك، كالصوم عونٌ على العبادة (١٢٨) ولذلك قال صاحب (البحر

العميق): وكانوا يعدونها عوناً للعبال فمن ثم سميت عوناً (١٢٩)

وربما سميت بذلك لأنها أرضٌ محظوظة بالماء، قال ابن منظور: العانة: الحظ من الماء للأرض بلغة عبد القيس (١٣٠) لكن التفسير الأول هو المتجه. والله أعلم. لأن العرب قالوا عن التمر والملح " أبو عون" (١٣١) فالمادة بمجملها تفيده معنى المساعدة والإعانة، ولعل السببين دفعا بالعرب الى هذه التسمية.

٢٠. عَافِيَةٌ (١٣٢): يقال: عفا المنزل يعفو عفوًا وعفاً أي دُرسَ وانحى، ويقال: عافاه الله يعافيه أي شفاه الله، وأزال عنه الأسقام، فالعافية اسمٌ بمعنى المعافاة وهي في الأصل مصدر جاءت على فاعلة كالناشئة والعاقبة والخاتمة (١٣٣).

خالد بن كيسان عن ابن عباس، وانظر الحديث عند السيوطي، عبد الرحمن، الدر المنثور ٢٨٤/٧ عن ابن عباس

(١٢٤) المحجوب المكي، عبدالله بن إبراهيم، عدة الإنابة (١٢٧) قال بعده "رواه البخاري في التاريخ وابن ماجه والحاكم" وخرجه المحقق في الهامش بقوله: أخرجه ابن ماجه ٣٠٦١ وانظر الحديث عند السيوطي، عبد الرحمن، الدر المنثور، ٢٨٤/٧ عن ابن عباس

(١٢٥) الأزرقى، محمد بن عبد الله، أخبار مكة (٥٢/٢).

(١٢٦) المحجوب المكي، عبدالله بن إبراهيم، عدة الإنابة (١٢٦) وخرجه المحقق بقوله: أخرجه تادتر قطني في السنن ٢٨٩/٢ وعبد الرزاق في المصنف ١١٨/٥.

(١٢٧) الأزرقى، محمد بن عبد الله، أخبار مكة (٤٩/٢)، والمحجوب المكي، عبدالله بن إبراهيم، عدة الإنابة (١٣٦)،.

(١٢٨) الجوهري، إسماعيل بن حماد، تاج اللغة وصحاح العربية، و ابن منظور، محمد بن مكرم، اللسان، و الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، و الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير (عون).

(١٢٩) الضياء الحنفي، البحر العميق (٢٠٠/١)، و السيوطي، عبد الرحمن، الدر المنثور (٢٨٨/٧).

(١٣٠) ابن منظور، محمد بن مكرم، اللسان (عون).

(١٣١) الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط (عون).

والظاهر أنها سميت بذلك لأنها تزيد عن شاربها العليل والأسقام، وما أكثر الروايات والقصص الدالة على أنها كافية شافية (١٣٤)

وربما سميت بذلك لكثرة مائها، يُقال: عفا الشيء أي كثر، وفي التنزيل: (حتى عفوا وقالوا) [الأعراف: ٩٥] أي كثروا، وقال السرقسطي: عفوت الشئ أعفوه عفواً وعفيته أعفاه عفياً، تركته حتى يكثُر ويطول، ومنه: خُفوا الشوارب وأعفوا اللحى (١٣٥)، فالمراد من العافية بهذا المعنى أنها كثيرة الماء وماؤها لا ينضب، وقد قيل لعبدالمطلب في رؤيا خفها: إنها لا تنزف أبداً ولا تُدَمُّ، ومعنى لا تنزف أي لا يغيض ماؤها ولا ينضب يقال: نزفت من البئر نزفاً استخرجت ماءها كله (١٣٦)، أما معنى ولا تُدَمُّ فقد قيل: لا تعاب ولا تُلغى مذمومة، من قولك: أذمته، إذا وجدته مذموماً، وقيل: لاتدم عاقبة شربها (١٣٧) وفُسِّرَ الذم أيضاً بأنه قلة الماء يقال: بُرَّ دَمَةٌ أي قليلة الماء (١٣٨) وهذا يفيد أن ماءها كثير.

وربما أُريدَ منها جودتها، وصفاءها ونقاؤها، قال اللبث: العَفْوُ: أحلُّ المال وأطيبه وعَفْوٌ كُلٌّ: خياره وأجودُه ومالا تعب فيه.. وعفا الماء إذا لم يطأه شيء يكدره، وعَفْوَةُ المال والطعام والشراب وعَفْوَتُهُ (الكسر عن كُراع) خياره وما صفا منه وكثُر، وعَفْوُ الماء ما فَضُلَ عن الشارب، وأُخذَ بغير كُلفَةٍ ولا مُزاحمةٍ عليه (١٣٩) وقد تُزِيلُ من صاحبها النفاق ففي الحديث "التضلع من ماء زفرم براءة من النفاق" (١٤٠) والبراءة لا تتم إلا بعد زوال النفاق من قلبه.

٢١. كافيَّة: اسم فاعل من مصدر الفعل كفى الشيء يكفي كفايةً فهو كافٍ وهي كافية (١٤١)، سميت بذلك لأنها تكفي شاربها، وقد جاء من أوصافها في حديث خفها أنه قيل لعبد المطلب في المنام: احفر زفرم، إنك إن حفرتها لم تُدَمِّ، وهي تراثُ أبيك الأعظم، لا تنزف أبداً ولا تُدَمُّ، تَسْتَقِي الحجاج الأعظم (١٤٢) قال السهيلي: وهذا برهانٌ عظيمٌ لأنها لم تنزف من ذلك الوقت إلى يومنا قط (١٤٣)

٢٢. مؤنسة: (١٤٤) على وزن مُفْعَلَةٌ، من الفعل آنس، يُؤنِسُ، فهي اسم فاعل أي تؤنس، والظاهر أن أنسها يبدو من كونها مكانٌ تجتمع الناس أي لا وحشة فيها، والإنسان كما قال الجوهري: خلاف الإيحاء (١٤٥)، ويحتمل أنهم أطلقوا

(١٣٢) الضياء الحنفي، البحر العميق (٢٠٠/١).

(١٣٣) الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير (عفي)، وانظر ابن منظور، محمد بن مكرم، اللسان (عفي) أيضاً.

(١٣٤) انظر: الأزرق، محمد بن عبد الله، أخبار مكة (٤٩/٥) و الضياء الحنفي، البحر العميق (٢٥٦/٥).

(١٣٥) الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير (عفي).

(١٣٦) الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير (نزف).

(١٣٧) الضياء الحنفي، البحر العميق (٢٥٧١.٢٥٦٤/١) وانظر الأزرق، محمد بن عبد الله، أخبار مكة (٤٣/٢).

(١٣٨) الضياء الحنفي، البحر العميق (٢٥٦٤، ٢٥٦٥/٥).

(١٣٩) ابن منظور، محمد بن مكرم، اللسان (عفي).

(١٤٠) الأزرق، محمد بن عبد الله، أخبار مكة (٥٢/٢).

(١٤١) الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير (كفي)، وانظر: الضياء الحنفي، البحر العميق (٢٠٠/١).

(١٤٢) الضياء الحنفي، البحر العميق (٢٥٦/٥) والسيوطي، عبد الرحمن، الدر المنثور (٢٧٨/٧).

(١٤٣) السهيلي، عبد الرحمن، الروض الأنف (١٧٠/٢)، والضياء الحنفي، البحر العميق (٢٥٦٤/٥).

(١٤٤) الضياء الحنفي، البحر العميق (٢٠٠/١).

(١٤٥) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح (أنس).

عليها مؤنسة لأنها آتست أم إسماعيل، وأم إسماعيل، كما قال ابن عباس كانت تحب الأُنس (١٤٦)، لا سيما في ذلك المكان الموحش الباعث على الخوف والرهبه من مستقبل المكوث فيه حيث لا ماء ولا أنيس.

٢٣. مباركة: اسم مفعول أي بورك فيها من الفعل الرباعي برك، والظاهر أن هذا الاسم أُخذ من حديث الرسول ﷺ فيها، ففي حديث إسلام أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال "إنها مباركة، إنها طعام طعم" رواه مسلم وأبو داود، وزاد "وشفاء سُقم" (١٤٧) ولو قيل: إنها اسم مكان أي مكان بورك فيه لكان وجهاً مقبولاً، ولو قيل: إنها مباركة، بكسر الراء لكان المعنى أنها تبارك من يشربها بخصائصها وفضائلها، ولكن لم يرد ذلك.

٢٤. مُرَوِيَّة: على وزن مُفَعَّلَة من الفعل أَرَوَى يُرَوِي، فهي اسم فاعل أي تُرَوِي وتُشْبِع من يشرب ماءها، ونظيرها من الصحيح مُكْرَمَة، ويجوز أن يكون ضبطها مُرَوِيَّةً بفتح الميم وتشديد الياء، فهي من الفعل الثلاثي رَوَى يُرَوِي وهي حينئذ اسم مفعول، أي رُفِدَتْ بعيون ماءٍ أخرى، قال الأزرقى: وفي قعرها ثلاث عيون، عين جِذَاء الركن الأسود، وعين جِذَاء أبي قبيس والصفا، وعين جِذَاء المروة (١٤٨).

والمعاني الثلاثة التي تحملها الصيغة صحيحة تتفق مع حقيقة زَمَزَمَ فهي تُرَوِي كما أنها مُرَوِيَّة. والله أعلم.

٢٥. المَضْنُونَة: سميت بذلك لأنه ضُنَّ بها على غير المؤمن فلا يتصلَّع منها منافق، وقيل: سميت بذلك لأنَّ عبدالمطلب قيل له في المنام: احفر المَضْنُونَة، ضننتُ بها على الناس لا عليك (١٤٩)، وأضاف ابن منظور "أي التي يُضُنُّ بها لنفاستها وعزتها (١٥٠) وذكر الأزرقى أن كعباً قال لَزَمَزَمَ: بَرَّةً مَضْنُونَةً ضُنَّ بها لكم، أول من أخرجت له إسماعيل ونجدها طعاماً طعماً وشفاءً سُقم (١٥١) ونقل ابن منظور عن ابن خالويه أن "المضنون" مذكور "مضنونة"، اسم لبئر زَمَزَمَ أيضاً (١٥٢) وذكر الأزرقى أيضاً عن ابن الخيثم أنه قال: قدم علينا وهب من منبه فاشتكى فجئنا نَعُوذُه فإذا عنده من ماء زَمَزَمَ، قال: فقلنا: لو استعذبت فإن هذا الماء فيه غَلْظٌ قال: ما أريد أن أشرب. حتى أُخْرِجَ منها. وغيره، والذي نفس وهب بيده، إنها لفي كتاب الله زَمَزَمَ، وإنها لفي كتاب الله بَرَّةً، شراب الأبرار، وأنها لفي كتاب الله مضنونة، وإنها لفي كتاب الله طعاماً طعماً وشفاءً سُقم، والذي نفس وهب بيده، لا يَعْمِدُ إليها أحدٌ فيشرب منها حتى يتصلَّع إلا نَزَعَتْ منه داءً وأحدثت له شفاءً (١٥٣) وثمة معنى نقله ابن منظور عن الزجاج يمكن أن نتبين منه أيضاً معنى يتصل

(١٤٦) السيوطي، عبد الرحمن، الدر المنثور (٦٥٦/١) ذكر ذلك حين قال لها بعض من جرهم: أتأذنين لنا أن نزل عندك، قالت: نعم، فنزلوا وأرسلوا إلى أهلهم فنزلوا معهم.

(١٤٧) الضياء الحنفي، لبحر العميق (٢٠٢/١).

(١٤٨) الأزرقى، محمد بن عبد الله، أخبار مكة (٦١/٢).

(١٤٩) الضياء الحنفي، البحر العميق (٢٠٠/١)، و ابن منظور، محمد بن مكرم، اللسان، و الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط (ضنن).

(١٥٠) ابن منظور، محمد بن مكرم، اللسان (ضنن).

(١٥١) الأزرقى، محمد بن عبد الله، أخبار مكة (٥٣/٢)، والسيوطي، عبد الرحمن، الدر المنثور (٢٨٦/٧).

(١٥٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، اللسان (ضنن).

(١٥٣) الأزرقى، محمد بن عبد الله، أخبار مكة (٥٠/٢) والسيوطي، عبد الرحمن، الدر المنثور (٢٨٥/٧) وفيه: أنه قال لزمرم: إنا نجدها مضنونة.....

بَزْمَرٍ وطيب مائها واشتهاء طعمه، كما أن المسك يُشْتَهَى شَمُّ رِيحِهِ الْعَيْقِ، فقد نقل ابنُ منظور أيضاً أن المضمونَ المضمونةَ هما الغالية . عن الزجاج . ونقل عن الأصمعي أن المضمونة ضَرَبٌ من الفَسْلَةِ والطيبِ (١٥٤) .
والغالية نوعٌ من المسك النفيس، مشهورٌ معروفٌ، فهل يأتري أُطْلِقُ على زَمْزَمٍ مضمونة، لنفاستها كما أن مسك الغالية كذلك؟ أو لنقل: إن مسك الغالية أُطْلِقَ عليه المضمونة تأسياً بِزَمْزَمِ النفيسة المضمونة، الاحتمالان واردان . والله أعلم .
ولا ننسى أن نذكر أن أسماء كثيرةً أطلقوها على زَمْزَمٍ تحتلُّ معنى النفاسة والجودة، فهي: سيدة، وبرّة، وطاهرة، وسالمة، وصافية، إلخ ما ذكره.

٢٦. مُعَدِّيَّة: من الفعل غَدَى يُعَدِّي فِيهِ اسم فاعل أي التي تُعَدِّي من يشرب ماءها، وما أكثر الأحاديث والمرويات الدالة على ذلك، ولعل حديث الرسول ﷺ "إنها مباركة، وإنها طعامٌ طعمٌ وشفاءٌ سُئِمَ" (١٥٥) يكفي عن ذكر بقية ما ورد فيها مما ذكرناه في تفسيرنا لكثير من أسمائها.

٢٧. مِيمُونَةٌ (١٥٦): مشتقة من اليَمْنِ وهو البركة، أي المبروكة، يعني التي بوركِتْ، فهي اسم مفعول من يَمُنُ فلان أي بورك فيه، يقال: يَمُنُ اللهُ فلاناً، يَمِينُهُ يَمُنًا جعله مباركاً فهو ميمون أي مُبَارَكٌ فيه، ويقال: يَمُنُ فلان على قومه فهو ميمون إذا صارَ مباركاً عليهم، ويقال: يَتَمَيَّنُ برأيه، أي يُتَبَرَّكُ به، وتيمنتُ به أي تبركت (١٥٧) وواضح أن هذا الاسم يشارك بركة و مباركة في المعنى.

٢٨. نافعَةٌ: مشتقة من المصدر النفع، والمعنى ظاهرٌ واضحٌ أي التي تنفع وتفيدُ شاربها، فهي اسم فاعل، وباتت صفةً مشبهةً لدوام نفعها على شاربها.

٢٩. هَزْمَةٌ جَبْرَائِيلَ (هَزْمَةُ الْمَلِكِ) (١٥٨): يقال هَزَمَ البئرَ إذا حفَرها، ويقال: بئر هَزْمَةٌ إذا حُسِفَتْ وكُسِرَ جبلها، ففاض الماء الرّواءُ (١٥٩) والعَمَزَةُ بِالْعَقَبِ فِي الْأَرْضِ يقال لها: هَزْمَةٌ (١٦٠) وجاء في زَمْزَمٍ: إنها هزْمَةُ جبريلَ عليه السلام: أي ضَرَبَ برجله فانخفضَ المكانُ فنبعَ الماءُ منه.

وقيل: معناه، أنه هَزَمَ الأرضَ: أي كَسَرَ وجهها عن عينها حتى فاضتْ بالماء الرّواءُ (١٦١) وأخيراً قال ياقوت: الهَزْمَةُ والرَّكْضَةُ بمعنى (١٦٢)؛ أي واحد. ومما يؤكد اشتهار هذا الاسم أنه ورد في حديث مشهور ساقه صاحب منائح الكرم لبيان فضائل زمزم قال وفضائل زمزم كثيرة جداً ففي المستدرک من حديث مرفوع عن ابن عباس رضي الله عنهما "ماء

(١٥٤) ابن منظور، مُجَدِّدٌ بن مكرم، اللسان (ضنن).

(١٥٥) انظر: الضياء الحنفي، البحر العميق (٢٠٠/١).

(١٥٦) الضياء الحنفي، البحر العميق (٢٠٠/١).

(١٥٧) ابن منظور، مُجَدِّدٌ بن مكرم، اللسان (يمن) ومجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز (يمن).

(١٥٨) البكري، عبد الله، معجم ما استعجم (٤/١٣٥٣) و ابن منظور، مُجَدِّدٌ بن مكرم، اللسان (هزم) والضياء الحنفي

، البحر العميق (٢٠١/١)، والسيوطي، عبد الرحمن، الدر المنثور (٧/٢٨٦) و المحجوب المكي، عدة الإنباء

(١٢٥).

(١٥٩) ابن منظور، مُجَدِّدٌ بن مكرم، اللسان (هزم).

(١٦٠) ياقوت الحموي ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان (٣/١٤٨)، والأزقي، مُجَدِّدٌ بن عبد الله، في أخبار مكة

(٥٠/٢).

(١٦١) ابن منظور، مُجَدِّدٌ بن مكرم، اللسان (هزم) وانظر: ياقوت الحموي ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان (٣/١٤٨).

(١٦٢) ياقوت الحموي ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان (٣/١٤٨) و الضياء الحنفي، البحر العميق (٢٠١/١).

زمزم لما شرب له، إن شربت لتشتفي به شفاك تالله، وإن شربته لقطع ظمأك قطع الله همة جبريل، وسقيا الله لإسماعي^{١٦٣}

٣٠. هَمَزَةُ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (١٦٤): يقال: هَمَزْتُهُ إِذَا دَفَعْتُهُ وَضَرَبْتُهُ (١٦٥) قال (صاحب البحر العميق): وسميت هَمَزَةُ جَبْرِيلَ؛ لأنَّ جَبْرِيلَ هَمَزَ بَعْقِبِهِ فِي مَوْضِعِ زَمْزَمَ فَنَبِعَ الْمَاءُ (١٦٦). وواضح أن الاسمين بمعنى واحد، وثمة إبدال لغوي حصل بين اللفظتين فهما كقولهم جيد وجذب أو هما لغتان .

وإلى هنا نكون قد انتهينا من تفسير أسماء زَمْزَمَ وأسباب التسمية بها، تلك التي ذكرتها الكتب المعنية بذلك كالمعجمات اللغوية والتأليف التي تتصل بمكة وتاريخها.

• وقد بدا لي بعد تجوالي مع هذه الأسماء أنه يجوز أن تضاف أسماء أخرى لتحقق معانيها في ماء زَمْزَمَ منها:

١. بئرُ إِسْمَاعِيلَ: ورد هذا الاسم على لسان قريش، فهم الذين أطلقوا عليها هذا الاسم حين كان عبدالمطلب يَحْفِرُهَا، ففي حديث حفِرها عن سيدنا علي قال: فلما بدا لعبدالمطلب الطي^(١٦٧)، كَبَّرَ فَعَرَفْتُ قَرِيشَ أَنَّهُ قَدْ أَدْرَكَ حَاجَتَهُ، فَقَامُوا إِلَيْهِ فَقَالُوا: يَا عَبْدَ الْمَطْلَبِ إِنَّمَا (بئرُ إِسْمَاعِيلَ)، وَإِن لَنَا فِيهَا حَقًّا، فَأَشْرِكْنَا مَعَكَ فِيهَا، فَقَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ إِذَا هَذَا الْأَمْرُ حُصِّصْتُ بِهِ دُونَكُمْ (١٦٨). ولعل مما يؤكد صحة إطلاق هذا الاسم عليها أنه ورد في الشعر، لقد مر معنا ذلك الشعر الذي تحدث فيه الشاعر العربي عن حج ملوك الفرس للبيت قال ياقوت الحموي "وقد افتخر بعض شعراء العرب بعد ظهور الإسلام بذلك فقال:

ومازلنا نَحُجُّ الْبَيْتَ قَدَمًا
وساسانُ بئُ بَابِكَ سَارَ حَتَّى
وطافَ بِهِ وَزَمْزَمَ عِنْدَ بئِرٍ
ونلقى^(١٦٩) بالأباطح آميننا
أتى البيتَ العتيقَ بأصيدينا
لإسماعيلَ تروي الشاربينا^(١٧٠)

٢. حِلٌّ وَبِلٌّ: وردَ هذا التركيب العطفِي الذي صارَ علمًا عليها في قصة حفرها، فقد قيل لعبد المطلب في المنام: اللهم إني لا أحلُّها لمغتسلٍ، ولكن هي للشارب حِلٌّ و**بِلٌّ**^(١٧١)، أي حلالٌ وشِفَاءٌ من الأَسْقَامِ، وأشار الأزرقِي إلى معنى

^{١٦٣} (وبعده: ورجاله موثون إلا أنه اختلف في إرساله وإيصاله أصح، كذا في الفتح هذا الحديث الدارقطني عن ابن

عباس مطولا وحديث المستدرک ماء زمزم لما شرب له انظر السنجاري، منائح الكرم ٤٠٨/١

^(١٦٤) الضياء الحنفي، البحر العميق (٢٠١/١)، وانظر: المحجوب المكي، عبدالله بن إبراهيم، عدة الإنابة (١٢٥).

^(١٦٥) ابن منظور، مُجَّد بن مكرم، اللسان (همز).

^(١٦٦) الضياء الحنفي، البحر العميق (٢٠١/١).

^(١٦٧) الطي: البئر .

^(١٦٨) السيوطي، عبد الرحمن، الدر المنثور (٢٧٨/٧).

^(١٦٩) في الأصل ونلقى ولعلها وتُلْفَى أي يشعرون بالأمان عند البيت .

^(١٧٠) ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله معجم البلدان (٤٨/٣).

^(١٧١) الأزرقِي، مُجَّد بن عبد الله، في أخبار مكة (٤٣/٢) و السيوطي، عبد الرحمن، الدر المنثور (٢٧٧/٧). (٢٨٩).

حِلِّ وَبِلٍّ عند ابن عباس بقوله: حدثني جدي قال: حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار قال: سَمِعْتُ ابن عباس يقول: هي حِلٌّ وَبِلٌّ: يعني زَمْزَمَ، فَسُئِلَ سفيانُ: ما حِلٌّ وَبِلٌّ؟ قال حِلٌّ مُحَلَّلٌ، ثم ذكر القصة التي بسببها قال ابن عباس ذلك، وهي: أنه بلغه أن رجلاً من بني مخزوم اغتسل من زَمْزَمَ، فوجدَ (١٧٢) من ذلك وَجِداً شديداً، فقال: لا أُحِلُّها لمغتسل. يعني في المسجد. وهي لشاربٍ ومتوضئٍ حِلٌّ وَبِلٌّ يقول: حِلٌّ مُحَلَّلٌ (١٧٣) وذكرت العربُ الكلمتين معاً في قولهم: هو لك حِلٌّ وَبِلٌّ، فبِلٌّ كما قال ابن منظور: شَفَاءٌ من قولهم: بِلٌّ فلانٌ من مرضه وأبَلٌّ إذا برأ (١٧٤)، ويقال: (بِلٌّ) مباحٌ مُطْلَقٌ يمانيةً حِميريةً، ويُقال: بِلٌّ إِتْباعٌ لِحِلٍِّ وخالف ابن السكيت، جَعَلَ (بِلٌّ) إِتْباعاً (لِحِلِّ) لوجود الواو بينهما، قال: لا يكون (بِلٌّ) إِتْباعاً (لِحِلِّ) لمكان الواو (١٧٥) وحكى ابن منظور قصة إطلاق "حِلِّ وَبِلِّ" على زَمْزَمَ بقوله: إن زَمْزَمَ لما حُفِرَتْ وأدركَ منها عبدالمطلب ما أدرك، بنى عليها حوضاً وملاًه من ماء زَمْزَمَ، وشرب منه الحاجُّ فحسده قومٌ من قريش فهدموه، فأصلحه فهدموه بالليل، فلما أصبح أصلحه، فلما طال عليه ذلك، دعا ربه فأرِي في المنام أن يقول: اللهم إني لا أُحِلُّها لمغتسلٍ وهي لشاربٍ حِلٌّ وَبِلٌّ، فإنك تُكفِي أمرهم، فلما أصبَحَ عبدالمطلب، نادى بالذي رأى، فلم يكن أحدٌ من قريش يقرُّب حوضَهُ إلا رُمي في بدنه، فتركوا حوضه (١٧٦). وقوله "لا أحلها لمغتسل وهي لشارب حل وبِل" يذكرنا بنى اسمها الآخر "الحريمية" يعني أن الاسمين ناتجان عن فكرة هل زمزم من المسجد أو هي خارج المسجد، وابني على ذلك الخلاف الذي أشرنا إليه في تفسير اسم "حريمية"

٣. حَبِيبَةٌ: وهي فَعِيلَةٌ، بمعنى محبوبة، ورد هذا الاسم في حديث حُفِرَ زَمْزَمَ إذ قيل لعبدالمطلب في المنام: احفر زَمْزَمَ حَبِيبَةً الشيخ الأعظم (١٧٧) ولا تخفى تلك الصلة الدلالية بين (تُكْتَمُ) التي أثبتها اللغويون اسماً من أسماء زَمْزَمَ وحبيبة، فدلالة اللفظتين في نهاية الأمر واحدة.

٤. شافيةٌ: أي التي تشفي، فزَمْزَمُ لما شُرِبَ له، وما أكثر الروايات التي تدل على هذا المعنى وتؤكدده، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ "ماءُ زَمْزَمَ لما شُرِبَ له، فإن شربته تستشفى شَفَاءَك اللهُ، وإن شربته مستعيذاً أعاذك اللهُ وإن شربته لتقطعَ ظمأكَ قطعهُ اللهُ" (١٧٨)، ومن ذلك حديث الرسول ﷺ بأن "خير ماءٍ على وجه الأرض زَمْزَمُ، فيه طعامٌ من الطعامِ وشَفَاءٌ من السُّمِّ"، وعن صفية عن النبي ﷺ "قال ماء زَمْزَمَ شفاءٌ من كلِّ داءٍ" (١٧٩) والآثار في ذلك كثيرة.

وكان ابن عباس إذا شرب ماء زَمْزَمَ قال: اللهم إني أسألك علماً نافعاً ورزقاً واسعاً، وشفاءً من كل داء " قال ابن العربي: هذا موجودٌ فيه إلى يوم القيامة يعني العلم والرزق والشفاء إن صححت نيته وسَلِمَتْ طَوَيْتُهُ و لم يكن به مكذباً ولا يشربه مجرباً، فإن الله مع المتوكلين، وهو يفضحُ المجرمين" (١٨٠)

(١٧٢) أي حزن حزناً شديداً.

(١٧٣) الأزرقى، مُجَدِّ بن عبد الله، أخبار مكة (٥٨/٢)، و السيوطي، عبد الرحمن، الدر المنثور (٢٨٨/٧).

(١٧٤) لذا فالظاهر أن بِل بفتح الباء هو الأصل وكسروها لأجل كسرة حاء حل.

(١٧٥) ابن منظور، مُجَدِّ بن مكرم، اللسان (بلل).

(١٧٦) ابن منظور، مُجَدِّ بن مكرم، اللسان (بلل) وانظر: القصة عند الأزرقى، مُجَدِّ بن عبد الله، أخبار مكة (٤٣/٢).

(١٧٧) الأزرقى، مُجَدِّ بن عبد الله، أخبار مكة (٤٢/٢)، و السيوطي، عبد الرحمن، الدر المنثور (٢٧٦/٧) وفيه: حبيبة.

(١٧٨) الضياء الحنفي، البحر العميق (٢٠٢.٢٠١/١)، وانظر السيوطي، عبد الرحمن، الدر المنثور (٢٨٣/٧.٢٨٦).

(١٧٩) السيوطي، عبد الرحمن، الدر المنثور (٢٨٢/٧).

(١٨٠) الضياء الحنفي، البحر العميق (٢٠٢.٢٠١ /١) وانظر السيوطي، عبد الرحمن، الدر المنثور (٢٨٣/٧.٢٨٦)،

٥. كاشفةً (مُبرِّنةً) يجوز أن تسمى بذلك لأنها تكشف المنافقين، وتبرئ المؤمنين، وذلك حين يتصلَّعون من مائها، يؤخذ ذلك من حديث الرسول ﷺ " آية ما بيننا وبين المنافقين أهم لا يتصلَّعون من زَمْزَمَ " رواه البخاري في التاريخ وابن ماجه والحاكم (١٨١) وقوله ﷺ، في حديث آخر " ما استطاع منافقٌ قط أن يتصلَّع منها " (١٨٢)، وعن ابن عباس أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ التصلُّع من ماء زَمْزَمَ براءةٌ من النفاق (١٨٣).

٦. مُعوِّدة: أي تُعوِّدُ شارها من كل سوء، يؤخذ هذا الاسم من حديث الرسول ﷺ السالف " وإن شربته مُستَعِيداً أعاذك الله " (١٨٤).

وفي الحق أنه لو نُظِرَ إلى فضائلها وآثارها الدنيوية والأخروية، والظاهرة والباطنة لكثرت أسماءها كثرةً لا تُعدُّ ولا تُحصى، وإنما ذهبنا إلى تسجيل بعض هذه الأسماء زيادة على ما ذكره، لأننا رأيناهم يُثبتون كثيراً من الألفاظ الواردة في قصة حفرها من قِبَلِ عبدالمطلب على أنها أسماءٌ أعلامٌ عليها، من ذلك: مذنونة، وطيبة، وطيبة، وبرّة، وشراب الأبرار.... إلخ ورأينا بعض أسماءها مأخوذاً من بعض ما ورد في فضائلها كشافية، وشباعة...

لذا لا مانع. فيما أحسب. من جعل الألفاظ التي أوردناها أعلاماً على زَمْزَمَ ومائها أيضاً، فهذه الألفاظ أيضاً وردت إما في قصة حفرها، أو في بعض ما ورد من فضائلها، يضاف إلى ذلك كله، أن الواقع المشاهد في زَمْزَمَ ومائها، تنطبق عليه دلالات هذه الألفاظ، ناهيك عن ورودها كما قلنا في كتب مكة وأخبارها وفي المعجمات اللغوية.

- وثمة سؤال خطر بالبال وهو لماذا كُتِرَ إطلاقُ الأسماء ذات دلالات الكفاية والنفع، والتغذية على مائها كقولهم: شَبَّاعة وكافية وعافية وعونة، ومغذية، ونافعة، ومروية، وطعام طعم، وشفاء سقم.
- إلخ.؟ ثم أما كان يكفي بعض منها للدلالة على أنها نافعة فيستغنى بها في الدلالة على فوائدها ومنافعها؟ فلماذا كثرت أسماءها الدالة على فكرة النفع والفائدة؟

فخطر على بالي بعد تسجيل ما سلف، حديث عبدالمطلب حول حفر زمزم، لقد ورد فيه ما نصه "أما من بين فَرَثٍ ودمٍ؟"

وقلت في نفسي لعل هذه العبارة التي وردت في رؤيا عبد المطلب فيها إشارة إلى أنها مُشبعة و مغذية، لأنها مثل اللبن الذي يخرج من بين فَرَثٍ ودمٍ أيضاً، وذلك قد أشارت إليه الآية الكريمة في سورة النحل: (إن لكم في الأنعام لعبرةً نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين) [النحل: ٦٦]

قال أبو حيان: أي يخلق الله اللبنَ وسطاً بين الفرثِ والدمِ يكتنفانه، وبينه وبينهما برزخٌ من قدرة الله، فلا يبغي أحدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله (١٨٥).

وفي الأصل: المحرمين، والمثبت يدل عليه قوله قبل " ولا يشربه مجرباً "

(١٨١) المحجوب المكّي، عبدالله بن إبراهيم، عدة الإناة (١٢٧).

(١٨٢) السيوطي، عبد الرحمن، الدر المنثور (٢٨٤/٧).

(١٨٣) السيوطي، عبد الرحمن، الدر المنثور (٢٨٥/٧)، والأحاديث والأقوال في ذلك كثيرة، انظر الأزرقى، مُجَّد بن عبد

الله، أخبار مكة (٥٢/٢)، و الضياء الحنفي، البحر العميق (٢٠٧/١).

(١٨٤) الضياء الحنفي، البحر العميق (٢٠٢.٢٠١ / ١) وانظر السيوطي، عبد الرحمن، الدر المنثور (٢٨٦/٢٨٣/٧).

(١٨٥) الأندلسي، أبو حيان مُجَّد بن يوسف، البحر المحيط (٥٠٩/٥). نشر مطابع النصر الحديثة، الرياض.

وقد ذكر الأزرقى عن رباح عن الأسود ما يقوي هذه الخاطرة "قال رباح كنت مع أهلي بالبادية فابتعث بمكة، فأعتقت، فمكنت ثلاثة أيام لا أجد شيئاً أكله، فكنت أشرب من ماء زمزم فشربت يوماً فإذا أنا بصريف اللبن بين ثناياي، فقلت: لعلي ناعس، فانطلقت وأنا أجد قوة اللبن وشبعه^(١٨٦) وذكر الأزرقى أيضاً هذه القصة بأسلوب آخر في رواية أخرى قال: إن رجلاً يقال له رباح مولى لآل الأحنس قال: أعتقني أهلي فدخلت من البادية إلى مكة فأصابني بها جوع شديد حتى كنت أكوّم الحصى ثم أضغ كبدى عليه، قال: فقمّت ذات ليلة إلى زمزم فنزعت فشربت لبناً كأنه لبن غنم مستوحمةً أنفاساً^(١٨٧).

ومن ذلك ما ذكره أيضاً (صاحب البحر العميق) قال: عن عبدالرحمن بن يعقوب قال: قديم علينا شيخ من هرات يُكنى أبا عبدالرحمن، شيخ صدق، فقال لي: دخلت المسجد الحرام في السحر، فجلست إلى زمزم فإذا الشيخ قد دخل من باب زمزم وقد سدّل ثوبه على وجهه، فأتى البئر فنزع الدلو فشرب، فأخذت فضلتها فشربتها فإذا سويق لوز لم أذق قطُّ أطيب منه ثم التفت فإذا الشيخ قد ذهب ثم عدت من الغد في السحر فجلست إلى زمزم فإذا الشيخ قد دخل من باب زمزم فأتى البئر فنزع الدلو، فشرب فأخذت فضلتها فشربتها، فإذا لبنٌ مضروبٌ بعسلٍ لم أذق قطُّ أطيب منه ثم التفت فإذا الشيخ قد ذهب ثم عدت من الغد في السحر، فجلست إلى زمزم فإذا الشيخ قد دخل من باب زمزم فأتى البئر فنزع الدلو فشرب فأخذت فضلتها فشربتها، فإذا سكرٌ مضروبٌ بلبنٍ لم أذق قطُّ أطيب منه، فأخذت ملحفته فلففتها على يدي وقلت له: يا شيخ، بحق هذه البنية^(١٨٨) عليك، من أنت؟ قال: تكنم عليّ حتى أموت؟ قلت: نعم قال: أنا سفيان بن سعيد الثوري^(١٨٩).

فهذه القصص وغيرها كثير^{١٩٠} تبيّن لنا أن هذا الماء يصير لبعضهم وفق ما ينويه عند شربه لها، وربما استجاب الله الشارب فأمله مقصوده، والمرويات كثيرة تحض على أن تُشرب زمزم مع النية الطيبة، والاعتقاد الجازم واليقين الكامل، فعن جابر أن رسول الله ﷺ قال "ماء زمزم لما شرب له"^(١٩١)، والذي يعيننا من هذه القصص أن طعمها بدا لبناً خالصاً

^(١٨٦) الأزرقى، مُجّد بن عبد الله، أخبار مكة (٥٤/٥)، و السيوطي، عبد الرحمن، الدر المنثور (٢٨٨/٧).

^(١٨٧) الأزرقى، مُجّد بن عبد الله، أخبار مكة (٥١/٢).

^(١٨٨) اسم من أسماء الكعبة.

^(١٨٩) الضياء الحنفي، البحر العميق (٢١١/١، ٢١٣).

٢- من هذه القصص ما حكى عن الحافظ ابن خزيمة النيسابوري المتوفى سنة ٣١١ هـ، قيل: سأله أبو بكر بن مُجّد ، من أين أوتيت العلم؟ فقال: قال الرسول ﷺ: ماء زمزم.. الحديث "سألت الله علماً نافعاً، وهذا الرجل قال عنه ابن حبان: ما رأيت على وجه الأرض من يحسن صناعة السنن ويحفظ ألفاظها حتى كأن السنن كلها بين عينيه إلا ابن خزيمة" سير أعلام النبلاء ٣٧٢/١٤ وقيل عن الحافظ الحاكم النيسابوري المتوفى سنة ٣٢١ هـ: إن أحمد الحافظ قال: سمعت الحاكم أبا عبد الله إمام أهل الحديث في عصره يقول: شربت ماء زمزم وسألت الله أن يرزقني حسن التصنيف، لذلك وقع من تصانيفه المسموعة بين الناس ما بلغ، تبيين الكذب لابن عساكر ٢٢٨ بتصريف، وانظر موقع سني نيوز، وأشار ابن عربي صاحب أحكام القرآن إلى ما يفيد أهم على اعتقاد تام بفضل زمزم وتحقق نية الشارب منها قال: لقد كنت بمكة مقيماً وكنت أشرب ماء زمزم كثيراً وكلما شربته نويت به العلم والإيمان حتى فتح الله لي بركته في المقدار الذي يسره لي من العلم ونسيت أن أشربه للعمل وبإلتي شربته لهما حتى يفتح الله عليّ فيهما ولم يُقدّر فكان يصغي إلى العلم أكثر منه إلى العمل، انظر موقع الألوكة: ابن عربي القاضي الفقيه لوائل عزت معوض ^(١٩١)السيوطي، عبد الرحمن، الدر المنثور (٢٨٠/٧)، والضياء الحنفي، البحر العميق (٢٠٣/١). وذكر المحجوب

تارة، وتارة لبناً مضروباً بعسل، ولبناً مضروباً بسكر ثالثاً، واللبن يخرج كما في الآية الكريمة من بين فَرْثٍ وِدَمٍ، وماء زَمْزَمٍ يخرج كما في رؤيا حفرها من بين فرثٍ ودم.

والحق أبي بعد أن سجلت ما سنخ بخاطري نظرت في كتاب (الروض الأنف) للسهيلي فوجدت أنه أشار إلى ما فسرتة وذكرته ووضح تلك العلاقة بين زَمْزَمٍ وعلاماتها تلك التي قيلت لعبد المطلب في المنام، أسردها لأهميتها وفائدتها قال السهيلي: ودُلَّ عليها بعلامات ثلاث، بنقرة الغراب الأعصم، وإثما بين الفرث والدم، وعند قرية النمل^(١٩٢)، ثم قال: ويروى أنه لما قام ليحفرها رأى ما رُسِمَ من قرية النمل وبقرة الغراب، ولم ير الفرث والدم، فبينما هو كذلك، نَدَّتْ بقرةً بجازرها فلم يدركها حتى دخلت المسجد الحرام، فنحرتها في الموضع الذي رُسِمَ لعبد المطلب، فسأل هناك الفرث والدم فحفر عبد المطلب حيث رُسِمَ له^(١٩٣).

ثم بيّن العلاقة الرمزية بين الفرث والدم وحقيقة زَمْزَمٍ، فقال: ولم تُخصَّ هذه العلامات الثلاث بأن تكون دليلاً عليها إلا لحكمة إلهية، وفائدة مشاكلة في علم التعبير والوسم الصادق لمعنى زَمْزَمٍ ومائها، أما الفرث والدم فإن ماءها طعام طعم وشفاء سقيم، وهي لما شربت له وقد تقوّت من مائها أبو ذر رضي الله عنه ثلاثين بين يوم وليلة، فسَمِنَ حتى تكسّرت عكُنه، وما وجد على كبده سَحْفَةٌ جوع، فهي إذن كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في اللبن: إذا شرب أحدكم اللبن، فليقل: "اللهم بارك لنا فيه، وزد لنا منه، فإنه ليس شيء يسد مسد الطعام والشراب إلا اللبن، وقد قال الله تعالى في اللبن: (إن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين) [النحل: ٦٦] فظهرت هذه السقيا المباركة من بين الفرث والدم، وكانت تلك من دلائلها المشاكلة لمعناها^(١٩٤)

أما الداللتان الأخريان فقد أشار إليهما أيضاً بما خلاصته: أن المراد من نقرة الغراب الأعصم هو نقرة الأسود الحبشي بمعوله في أساس الكعبة، يهدمها في آخر الزمان، فكأن نقر الغراب في ذلك المكان، يؤذن بما يفعله الفاسق الأسود في آخر الزمان بقبلة الرحمن وسقيا أهل الإيمان، ففي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَيُحْرَبَنَّ الكعبة ذو السؤيقتين من الحبشة" وفي الصحيح أيضاً أن من صفته أنه أسود يقلعها حجراً حجراً، وقد عرّف بذي السؤيقتين كما نُعت الغراب بصفة في ساقه فتأمله.

أما قرية النمل ففيها من المشاكلة أيضاً والمناسبة أن زَمْزَمٍ هي عين مكة التي يردها الحجيج والعُمائر من كل جانب، فيحملون إليها البُرّ والشعير وغير ذلك، وهي لا تُحرث ولا تُزرع كما قال الله سبحانه وتعالى خيراً عن إبراهيم عليه السلام: (ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم) [إبراهيم: ٣٧] وقرية النمل لا تُحرث ولا تُبذر وتُجلب الحبوب إلى قريتها من كل جانب، وفي مكة قال تعالى: (وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان) [النحل: ١١٢] مع أن لفظة قرية النمل، مأخوذة من قرئت الماء في الحوض إذا جمعته، والرؤيا

الحنفي في عدة الإناة ١٢٤ الخلاف في هذا الحديث، ونقل في آخره قول السيوطي: اختلف الحفاظ فيه، فمنهم من صححه ومنهم من حسنه ومنهم منضعفه والمعتمد الأول "

^(١٩٢) قرية النمل اسم من أسماء مكة المكرمة سميت بذلك لكثرة نملها. انظر: القطبي، محمد النهروالي، تاريخ القطبي (١٥)، المكتبة العلمية بمكة المكرمة.

و بإسلامة، حسين، تاريخ الكعبة المعظمة، (٥٦) تعليق الدكتور يوسف التقي، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م..

^(١٩٣) السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله، الروض الأنف (٦٩/٢ - ٧٠)، وانظر الضياء الحنفي، البحر العميق (٢٥٦/٥).

^(١٩٤) السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله، الروض الأنف (٦٩/٢ - ٧٠).

تُعَبَّرُ على اللفظ تارة، وعلى المعنى أخرى، فقد اجتمع اللفظ والمعنى في هذا التأويل^(١٩٥)، والمستفاد من ذلك كله أن ماء زمزم لما كان كاللبن الخارج من فريثٍ ودمٍ فهو يُشْبَعُ ويروي كما أن اللبن كذلك، وبهذا التفسير نفهم كلَّ نعوتهما التي صارت أسماء لها مثل: شباعة وعافية وكافية ومغذية ومروية... إلخ كما ندرك حكمة نقرة الغراب وقرية النمل أيضاً، ولا عجب من هذا الدرس اللغوي الممتع الذي قدمه علماؤنا لزمزم وأسمائها، مادامت ليهم كما وصفها صاحب عدة الإنابة شريفة عظيمة بل هي أشرف آبار الدنيا^{١٩٦}

الخاتمة

نخلص مما عرضناه إلى ما يأتي:

١. أن هناك درساً لغوياً رفيعاً شارك فيه اللغويون والمفسرون والمؤرخون على مرّ العصور لتقديم صورة دقيقة واضحة عما عن زموم وأسمائها .
٢. راعى العرب في إطلاق التسمية على بئر زمزم الواقع المشهود الحسي والمعنوي بدقة، وجاءت هذه الأسماء دقيقة وبسيطة في آن واحد.
٣. كثرت أسماء زمزم، لشرف المسمى، واشترك الكثير منها في الدلالة على معانٍ مشتركة مع أن المباني مختلفة، فمروية تلتقي مع رواء، وسالمة ونافعة وعافية وشفافية تلتقي مع مُغذّية، وهكذا، والكلُّ يشترك في معانٍ جامعة كلية غلب عليها المدح والنفع والخير والبركة.
٤. غلبت الأسماء المشتقة على هذه أسماء زمزم فبعضها منقول من أسماء الفاعلين كصافية وعافية وكافية، ومنها منقول من أسماء المفعولين كمباركة، ومضنونة، وقد باتت صفاتٍ مشبهة لأنه أريد منها الثبوت والدوام.
٥. ما قيل في تعليل تسميتها بزمزم: إنه من زمزمة الأعاجم مردود كما وضحننا والقول الراجح هو أن أسماءها كلها مع نعوتهما عربية فصيحة .
٦. وردت بعض هذه الأسماء في أحاديث الرسول ﷺ كقطعام طعمٍ وشفاءٍ سُقِم، وبعض منها في رؤيا عبد المطلب في حفرها، كطيبة وطيبة وثكنم وخبيثة، كما ورد بعضها على لسان الصحابة كابن عباس حين سماها شراب الأبرار وذكر بعض الشعراء بعضاً من أسمائها أيضاً على نحو ما رأينا في شعر خويلد بن عبد العزى حين ذكر في شعره أنها: ركضة جبريل، وحفيرة إبراهيم .
٧. أن المكتبة العربية الحديثة بحاجة - فيما أحسب - إلى مثل هذه الدراسات المتصلة بعلم اللغة التاريخي و الجغرافي لمكة المكرمة، وهي تساعد على كشف الفكر اللغوي العربي الإسلامي واتجاهاته وتصور البيئة التي نشأ فيها.
٨. أدت كثرة الاستعمال إلى ظاهرة الترادف في الأسماء، فلزمزم أكثر من ثلاثين اسماً شارك في إطلاقها السابق واللاحق وفق ما رآه وشاهده وعلم به، واختلج في خاطره وعقله..... حول زمزم ومائها.
- ٩- نتج عن بعض مدلولات أسمائها اللغوية كحرمية وحفيرة عبد المطلب وحل وبل -أحكام شرعية، فهل بئر زمزم وما حوله داخل في حرمة المسجد الحرام أو لا يدخل؟ مما أثير الحكم الفقهي فيما أحسب .
١٠. قد تتسع معاني هذه الأسماء نظراً إلى تعدد المعنى اللغوي المعجمي، لذا فالإقتصار على الدراسة الصرفية لهذه الأوزان و الأسماء منفصلة عن الواقع اللغوي يجعلها قاصرة - فعلاً - على الذي سجله الصرفيون فقط أي على ماهو

^(١٩٥) السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله، الروض الأنف (٢/٧٠٠٦٩).

^{١٩٦} (المحجوب الحنفي، عدة الإنابة، ١٢٤ بتصرف يسير

مُطرِد فقط، والذي نجزم به أن هناك معاني أُخرى قد تحملها الصيغة، وذلك بالرجوع إلى المعاني المعجمية الفرعية، والربط بينها للوصول إلى المعاني العامة الكلية، أو بالنظر إلى الواقع اللغوي المشاهد المحسوس، وفي مثل هذه الدراسة توسيعُ لعلم الدلالة العربي، وتكثيرُ لدلالة الصيغ العربية. والله أعلم.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم
وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم

هذا آخر ما تمت كتابته بمكة المكرمة . حرسها الله وزادها شرفاً . نسأل الله القبول والعفو والمغفرة، ونصرة الإسلام مع حسن الختام.

المصادر والمراجع

- ١- الأزرقى، مُجَّد بن عبد الله ، أخبار مكة تحقيق: رشدي ملحس، الطبعة الثامنة، ١٤١٦هـ. ١٩٩٦م .
- ٢- . الأزهرى ، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن مُجَّد الجرجاويّ ، شرح التصريح على التوضيح ، دار احياء الكتب العربية ، البايي الحلبي .
- ٣- الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن مُجَّد ، المفردات في غريب القرآن ، تحقيق: مُجَّد سيد كيلاني، البايي الحلبي، الطبعة الأخيرة، ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.
- ٤- - الأندلسي، أبو حيان مُجَّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين البحر المحيط ، نشر مطابع النصر الحديثة، الرياض.
- ٥- أنيس (الدكتور) إبراهيم، الأصوات اللغوية، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الخامسة. ١٩٧٩م .
- ٦- البكري ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن مُجَّد ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، عبد الله بن عبد العزيز تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب . بيروت.
- ٧- باسلامة، حسين ، تاريخ الكعبة المعظمة تعليق الدكتور يوسف الثقفى، ١٤١٩هـ. ١٩٩٩م.
- ٨- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت . لبنان، ١٣٩٩هـ.
- ٩- السنجاري ، علي بن تاج الدين بن تقي الدين ، منائح الكرم في أخبار مكة والبيت، تحقيق: الدكتور جميل المصري، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
- ١٠- السهيلي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد ، الروض الأنف ، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، مكتبة دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ١٤٢١هـ. ٢٠٠٠م .
- ١١- سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الكتاب، تحقيق: عبدالسلام هارون، الهيئة المصرية للكتاب. الطبعة الثانية، ١٩٧٧م .
- ١٢- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل ، المخصص ، دار الفكر للطباعة والنشر، القاهرة.

- ١٣- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور تحقيق: الدكتور عبدالله التركي مع مركز هجر للبحوث، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ. ٢٠٠٣م
- ١٤- الضياء الحنفي، مُجَّد بن أحمد ، البحر العميق في مناسك المعتمر والحاج إلى بيت الله العتيق ، تحقيق الدكتور: عبدالله مزي، المكتبة المكية، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ. ٢٠٠٦م .
- ١٥- ابن ظهيرة، جمال الدين مُجَّد جارالله، الجامع اللطيف . المكتبة الشعبية، الطبعة الخامسة، ١٣٩٩هـ. ١٩٧٩م.
- ١٦- ابن فارس ، أحمد بن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق السيد أحمد صقر البابي الحلبي.
- الفيروز آبادي ، مجد الدين مُجَّد بن يعقوب ، القاموس المحيط، الطبعة الثانية، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٧١هـ. ١٩٥٢م.
- ١٧- الفيومي ، أحمد بن مُجَّد بن علي ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، توزيع دار الباز، مكة المكرمة.
- ١٨- القطبي ، قطب الدين مُجَّد النهروالي ، تاريخ القطبي، المكتبة العلمية بمكة المكرمة،
- ١٩- مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، المركز العربي للثقافة والفنون، مصر.
- ٢٠- المحجوب المكي، عبدالله بن إبراهيم بن حسن بن مُجَّد أمين ميرغيني الحسني ، عدة الإنبابة في أماكن الإجابة، تحقيق: الدكتور عبدالله مزي، المكتبة المكية، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.
- ٢١- ابن منظور، مُجَّد بن مكرم ، لسان العرب تحقيق: عبدالله علي الكبير وزملائه، دار المعارف، مصر.
- ٢٢- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، شهاب الدين أبو عبد الله ، دار صابر ودار بيروت، ١٣٧١هـ .

فهرس الموضوعات

ملخص البحث (عربي-انجليزي).....أ-ب

١.....مقدمة

٢.....٧. زَمَزَمُ:

٢..... لغاتها

٣..... أسماء زمزم

٨..... أسباب التسمية

٨..... ١. بَرَّةُ

٨..... ٢. بُشْرَى

٩..... ٣. بركة

٩..... ٤. نُكْتَمُ

٩..... ٤. جِرْمِيَّةُ

١٠..... ٥. خَيْرَةُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ

١٠..... ٦. رَكْضَةُ جَبْرِيلَ

١١..... ٧. الرِّوَاءُ

١٢..... ٨. سُقْيَا اللَّهِ لِإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

١٢..... ٩. سَالْمَةُ.

١٢..... ١٠. سَيْدَةُ

١٣..... ١١. شَبَاعَةُ (شَبَاعَةُ الْعِيَالِ)

١٥..... ١٢. شَرَابُ الْأَبْرَارِ

١٥..... ١٣. صَافِيَةُ

١٥..... ١٤. طَعَامُ طُعْمٍ وَشِقَاءُ سُقْمٍ.

١٦..... ١٥. طَاهِرَةٌ.

١٧..... ١٦. طَيْبَةٌ

١٧..... ١٧. طَبِيئَةٌ.

١٧..... ١٨. عِصْمَةٌ

١٨..... ١٩. عَوْنَةٌ

١٨..... ٢٠. عَافِيَةٌ

١٩..... ٢١. كَافِيَةٌ

١٩..... ٢٢. مُؤْنِسَةٌ

٢٠..... ٢٣. مَبَارَكَةٌ

٢٠..... ٢٤. مُرْوِيَةٌ

٢٠..... ٢٥. المَضْنُونَةُ

٢١	٢٦. مُعَدِّيَّة
٢١	٢٧. مَيْمُونَةُ
٢١	٢٨. نَافِعَةُ
٢١	٢٩. هَزْمَةُ جِبْرَائِيلَ (هَزْمَةُ الْمَلِكِ)
٢٢	٣٠. هَمَزَةُ جِبْرِيَلٍ عَلَيْهِ السَّلَام
٢٢	١. بَثْرُ إِسْمَاعِيلَ
٢٢	٢. جِلٌّ وَبِلٌّ
٢٣	٣. حَيِّيَّةُ
٢٣	٤. شَافِيَّةُ
٢٤	٥. كَاشِفَةُ (مُبْرِئَةُ)
٢٤	٦. مُعَوِّذَةٌ
٢٤	العلاقة الرمزية بين ماء زمزم والفرث والدم في رؤيا عبد المطلب
٢٧	الخاتمة
٢٨	المصادر والمراجع
٣٠	فهرس الموضوعات